الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف :
رقم التسجيل :

عمالقة ورواد

تأليف

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

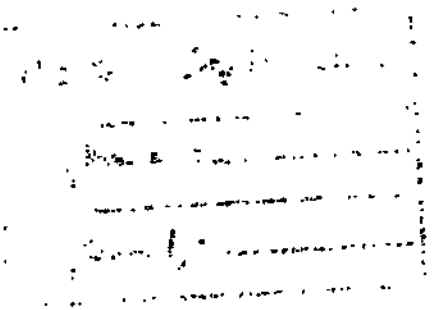

الاخراج الفنى :

سهير معطى

تصميم الغلاف :

سعد الدين الشريف

الاهـــــداء

الى الرواد ...

فى كل مجال .. و .. فى كل مكان
الأحيـــاء منهم والأمـــوات
أهـــدى كتـــابى

« عمالقة و رواد »

المؤلف

مقدمـــة

شخصيات هذا الكتاب « عمالقة و رواد » ترجمت حياتهم للكثير من لغات العـالم لمـا تحتويه من كفاح وقدرة على الاحتمال واصرار على العطـاء والنجاح .

لقد سبق لى أن قدمت بعض هؤلاء المشاهير فى حوار خيالى بالبرامج الثقافية بإذاعة لندن والبعض الآخر فى لقاء خيـالى من طريق النشر بالصحف الاقليمية . والشخصيات الثمانية هى :

- **روبنز** ... الرسام العالمى الذى كان أقدر الدبلوماسيين فى زمانه . تفاهم بسبعة لغات .. رسم أكثر من سبعة آلاف لوحة . رغم مضى أربعة قرون على مولده مازالت لوحاته فى المعارض العالمية تنطق بالحيوية والعظمة .

- **جول فيرن** ... مؤلف قصص (عشرون ألف فرسـخ تحت المـاء) التى صـور فيها الغواصـة قبـل أن تخترع

و (ثمانون يوما حول العالم) التى وصف فيها الطائرات قبل أن تظهر للوجود و (رحلة من الأرض الى القمر) التى كتبها بخيال الأديب عام ١٨٦٥ وحققها العلم فى علم ١٩٦٩ عندما هبط على سطح القمر اول رائدين من البشر خلال رحلة « أبوللو » .

● **اليزابيث بلاكول** ... النموذج المشرف للمرأة . أول فتاة طلبت باصرار أن تلتحق بكلية الطب أسوة بالذكور من الطلبة فحق لها أن تكون أول طبيبة فى أمريكا بل فى العالم .

● **فكتور هوجو** ... الأديب المرموق .. الذى ترك تراثا لفرنسا والعالم أجمع سوف تتناقله الأجيال . لقد قدم لنا الاجابة عن الكثير من الاسئلة .. كيف ظلت صداقته بالممثلة « جوليت دروبيه » أكثر من خمسين عاما ؟ .. كيف كانت علاقته بالناقد « سانت بيف » .. ما هى علاقته بالأرواح ؟ .

● **بتهوفن** ... الموسيقار الذى كان شقيا فى طفولته .. فى حبه .. فى حياته .. ذاق مرارة التشرد ومع ذلك كان شامخا يتسم بالكبرياء عطوفا لا يهمه المال .. أقام الدنيا وأقعدها بموسيقاه التى كانت تضم الى العمق ذلك الاحساس بالكمال فى بنائها جميعا .. كان أول من أدخل الشعر فى السيمفونيات الموسيقية .. وأول من وضع الموسيقى الرومانسية .. أبدع وأروع موسيقاه واعظمها وضعها وهو أصم . فقد كان يسمع بعقله .

● **مارى كورى** ... العالمة التى اكتشفت الراديوم وكتبت

سيرتها بكل اللغات . تناولت حياتها الأقلام والمسلسلات الاذاعية والتليفزيونية والصحافة فى كافة أرجاء العالم .. لقد كانت الوحيدة من النساء والرجال التى حصلت على جائزة نوبل مرتين .

● **رفاعة الطهطاوى** ... الأزهرى المعمم الذى ذهب الى باريس اماما للبعثة فكان اكثر من فيها استفادة وحين عاد الى مصر كان اكثرهم عطاء .. لقد كان مصدر اشعاع بترجماته المتنوعة ومؤلفاته الكثيرة المفيدة .. لقد احترم العقل كأداة لحل مشاكل المجتمع .. أول من نادى بتعليم المرأة .. كتب عن حقوق العمال وثقافة الأديب وصلة المعلم بتلميذه والتلميذ بمعلمه .. عمل بالصحافة فجدد وطور .. لقد كان شخصية صقلتها الثقافة ولم تثقلها .

● **البارون فان** ... ابرز سكرتير ذكره التاريخ ممن تعاقبوا على خدمة نابليون .. كان يتميز بصفات وقدرات جعلته سكرتيرا خبيرا قديرا .. لقد ترك لنا مذكرات قيمة ممتعة تكشف لنا الكثير عن شخصية نابليون التى لايعرفها سوى المقربين منه والعاملين معه .

هذه الشخصيات كان العطاء سبيلها الى التفوق ، فكتب لها الخلود .. واصبح أصحابها شموعا لا تنطفىء . لقد تغلغلت فى أعماق كل شخصية للوقوف على سر تفوقها محاولا تقديم المعلومة الجادة والمفيدة عنها ... المواقف الطريفة والدروس

المستفادة منها حتى يمكن للقارىء أن يتابعها بشغف ولهفة وكى تكون مرشـــدا أمينا صادقا للأجيال تترسم خطاها .

عزيزى القارىء : اننى أثق بأنك لن تندم على الوقت الذى ستقضيه فى صحبة هـذا الكتاب « عباقرة و رواد » .. فسوف تستفيد منه ـ باذن الله ـ قارئا .. أو باحثـا .. أو محبـا للتزود بالمعرفـة .

والله ولى التوفيق ؟

مجـدى سـلامة

بيتر بول روبنز

١٥٧٧ ـ ١٦٤٠

الرسام الذى جمع بين الدبلوماسية والفن

كانت رسومه تحف تنضح بعصارة الحياة .. الترى العالم بلوحاته .. اتسم باخلاقياته فى عصر تميز بالخلاعة والفجور .. لم يفسده مجد النجاح ولم يصبه الغرور .. رغم مضى اربعة قرون او يزيد على مولده فانهم يقيمون له اليوم المعارض فى اعرق المتاحف العالمية تاكيدا لعظمته وايمانا بنبوغه .. كان من الضرورى ان اصطحبك معى الى « انتويرب » التى يؤكد تمثاله القابع امام الكاتدرائية ان اسمه سيظل فى كل ركن من تلك البلدة ... سيظل فى كل ما يحوى جمال ... فالجمال الذى خلقه قد اغنى العالم ومنحنا جميعا تراثا من الحيوية والروعة الخالدة .

● **سألته عن مولده فاجاب :**

ـــ ولدت عام ١٥٧٧ فى سيجن بألمانيا حيث كان ابى يعيش فى المنفى . بعد وفاة ابى عادت الأسرة الى انتويرب . كنت مولعا بالرسم وتتلمذت على يدى استاذين هما « ادم فان نورث » وكان يميل الى الأخذ باساليب الفن الايطالى والثانى « اوتو فان فين » الذى لم يقبل غير تراث اسلافه من فنانى الفلاندر . غير اننى تأثرت كثيرا باستاذى الأول ادم . وقد احسست والدتى بذلك فجمعت لى بعض المال واشترت لى حصانا ودعتنى انطلق الى ايطاليا .

● **حيث التحقت ببلاط دوق مانتوا .**

ـــ تقصد الدوق فنشنزو جونزاجا .. ولكن هل تعرف كيف التحقت ببلاط هذا الدوق ؟ .. لقد كنت انزل فى فندق صغير فى مدينة البندقية وجلست فى الفناء ارسم من الذاكرة نسخة من لوحة شهيرة عندما هتف رجل غريب كان يقف خلفى قائلا : رائع انها اجمل من الأصل وسوف اصطحبك الى صديقى دوق مانتوا حيث من المؤكد ستجد حظك . وهكذا دفعتنى الصدفة المحضة الى دخول حاشية الدوق حيث احترفت الرسم فى البلاط . فكنت اصنع نسخا من اللوحات الشهيرة وارسم وجوها

لأسرة الدوق . لقد أتاحت لى الاقامة فى ايطـاليا زيارة روما ، وتأثرت بأعمال باسانو وفيرونيز ثم بأعمال كارافاجيو الفنـان الثورى . الا أننى بعد ثمانية أعوام عدت الى انفرس وكان اسمى قد بدأ فى الذيوع .

● **لذلك اعجب الارشيدوق البريشت والطفلة ايزابيلا بك وعيناك رساما خاصا للبلاط .**

ـــ حقا .. وبحكم انهما حاكما هولندا آنذاك فقد طلبت الى رسم لوحات لبلدية المدينة فرسمت لوحة « عبادة المـاجى » بالاضافة الى ٢٨ صـورة بالأحجـام الطبيعية وبعد ذلك بفترة قصيرة رسمت لكاتدرائية انتويرب لوحة « النزول من الصليب » التى يقولون عنها انها احدى تحفى الفنية الكبرى .

● **متى تزوجت ؟**

ـــ فى سن الثانية والثلاثين . تزوجت من «ايزابيلا براندت» فتاة جميلة ابنة أحد أعيان المدينـة وكانت تصغرنى بأربعة عشر عاما . أنجبت لى ثلاثة أبناء .

● **يقال انك كنت زوجا مثاليا .**

ـــ نعم فقد كنت سعيدا جدا فى الزواج . مخلصـا للغاية لزوجتى .. لم افكر مطلقا فى خيانتها فى عصر كان يتميز بالخـلاعة والفجور على نطاق واسع .

● **الم يكن اخلاصك هذا رد فعل طبيعى للتجربة التى مرت بوالدك ((بول)) ؟**

ـــ قد يكون اتهام والدى بالزنا حيث وقعت الأميرة ماريـا

السكسونية فى غرامه عندما كان يعمل مستشارا لها فى كولونى بالمانيا ولما علم بذلك زوجها الأمير حكم عليه بالسجن واقامته فى المنفى فى سجين . ومحاولات امى فى انقاذه واطلاق سراحه من السجن قد يكون لكل ذلك اثره فى نفورى من الطيش والاستهتار واخلاصى الدائم لزوجتى حتى وفاتها فجأة بعد ١٧ عاما من الحياة الزوجية السعيدة .

● **متى ذهبت الى باريس ؟**

ـــ عام ١٦٢٢ دعتنى الملكة الوالدة « مارى دى مديتشى » ملكة فرنسا ، وكلفتنى بتزيين قصر اللكسمبورج بسيرة حياتها وعملت ٢١ لوحة كبيرة لجدران القصر وقد استغرق ذلك ثلاث سنوات عدت بعدها الى انفرس . وفى السنة التالية تعودتى ماتت زوجتى الأولى ايزبيلا .

● **لحظة من فضلك .. قولك زوجتى الأولى يدفعنى للاستفسار عن زوجاتك الأخريات .**

ـــ زوجة ثانية فقط .. فبعد ان عشت ارملا حزينا اربعة اعوام عملت خلالها سفيرا عدت الى انفرس حيث وقعت فى غرام « هيلينا فورمنت » التى كانت فى سن السادسة عشر ذات جمال آخاذ وبعد أن قاسيت من حرمان اربعة اعوام اردت ان أمتع نفسى بالحلال من ملذات الحياة فتزوجتها وكان عمرى ٥٣ عاما .

● **لقد تذكرت الآن انك لم تكن تمل قط رسم زوجتك الصغيرة (هيلينا) فعملت لها أكثر من ١٥ لوحة .**

ـــ ليس هذا فقط يا عزيزى .. بل كان من فرط حبى لها أننى كنت ادعها تقف كنموذج لرسومى الدينية والاسطورية ..

حقا تركت لوحـات كثيرة رسمتها لها .. سـواء وهى عاريـة او بملابسها .. ان هـذه اللوحات ستظل أشبه بنوع من الغزل الجسور لأنها تدل على حقيقة حبى لها وتعلقى بها وسـعادتى بالحياة الى جوارها .

● **وانت تحدثنى عن زوجتك هيلينا عرفت بانك اشتغلت بالسلك الدبلوماسى فهل تتفق الدبلوماسية مع الفن يا سير بيتر بول روبنز ؟**

ـــ لقد قبلت وظيفـة السفير ، لأننى وددت الهرب من أحزانى بعد وفـاة زوجتى الأولى ايزابيـلا واعتقـد ان الذى ساعدنى على النجاح فيها .

● **انك كنت على قدر كبير من التهذيب والثقافـة والقدرة على الاقناع .**

ـــ حتى قالوا اننى أصبحت أقدر الدبلوماسيين فى زمـانى واننى انافس الكاردينال ريشيليو فى فرنسـا وهو الذى كان اكبر السياسيين حذقا انذاك .

● **ترى هل كنت تمارس الرسم خـلال عملك كسفير ؟**

ـــ انـا لم انقطع عن الرسم ابدا .. فان الألفة والمودة اللتان يخلقهما الرسم ساعدانى كثيرا فى عملى كسـفير . فقد كان الذين يقفون أمامى فترات طويلة يشعرون بالثقة فى .

● **هل لك أن تقدم لنا درسا عمليا على توفيقك فى احدى مهامك الدبلوماسية ؟**

ـــ هناك الكثير من الدروس الا أننى اذكر لك أننى ذات

يوم كنت ارسم صـورة لدوق باكنجهام وفهمت منه ان انجلترا لا تعارض فى عقد صلح مع اسـبانيا ، فاخذت هـذه المبادرة وقمت بالتردد بين بلاط فيليب الرابع ملك اسبانيا وشارل الأول ملك انجلترا وبعد شـهور طويلة من الجهود حصلت على توقيعهما على معاهدة بانهاء العداء بين الدولتين . وقد منحتنى الدولتان القاب شرف .

● لقد كان معظم حديثنا عن حياتك الخاصـة فهل لنا ان نتحدث عن الفنـان الكبير روبنز أعظم فنـانى العـالم وصاحب المدرسة الفلمنكية .. الفنان الذى رسم تكوين الانثى بالجمـال الذى ينبض بالحياة .

ـــ يا عزيزى ان الجميع عندما يتحدثون عن فنى يسـهبون فى الحديث عن رسـومى للفتيات العاريات اللاتى يضطجعن على الحشـائش أو يتنزهن فى الغابات أو يخرجن الى الحمـام وهى اللوحات المعلقة فى المتاحف فى جميع انحاء العالم ولكن اسمح لى ان أوضح حقيقة هامة .. ان هـذه الصور ذات الأرداف العريضة التى تمثل الأنوثة باجلى معانيها رموز للخصـوبة والاثمار فهن لا يوحين بالجنس باكثر مما توحى به الفاكهة التى يراها الانسان ساقطة من السلال ومهما كانت اوضـاع هـذه الصور فانها تعبر عن جو من البراءة .

● يا سير روبنز .. لوحـاتك التى تعج بمئـات الأفخـاذ والأثداء والأرداف والبطون وكلها موفورة الصحـة تنضح بعصارة الحياة كان حريا بهذه الأجسـاد الريانة التى تثير فينا نوعـا من التلهف لولا هذه الألوان النورانية المشعة التى صفت منها جسم المرأة والتى ضاع سرها من بعدك .

ـــ هل تدرى أن لوحاتى اثارت حماس العديد من فنـانى

القرن الثامن عشر وبخاصة « رينولدز » فى انجلترا و « بوشيه » و « واطو » وفراجونار فى فرنسا .

● **نعم .. نعم ولكن ارجو الا تنسى الوجة المضادة لفنك مع قيام الحركة الكلاسيكية الجديدة فى اوائل القرن التاسع عشر .. فمثلا الرسام « آنجر » كان ينصح طلبته لدى زيارتهم لمتحف اللوفر فى باريس لدراسة آثار « رافاييلو » أن يعصبوا عيونهم عند مرورهم باعمالك .**

ـــ لماذا تذكر المدرسة الكلاسيكية الجديدة فقط .. لماذا لا تذكر الحماس لفنى عندما ظهرت الحركة الرومانتيكية .. ألم يفتن « ديلاكروا » بفنى وتحدث عنه الكثير فى يومياته فوصفنى بالساحر وامتدح طلاقتى وجسارتى وعنفوانى امتداحا عظيما .. ألم يقل يوما على احدى لوحاتى أنها أشبه بندوة يتكلم فيها كل الحاضرين فى آن واحد .

● **ارجو الا تنسى أن « ديلاكروا » كثيرا ما كان يبدى تحفظا تجاه اعمالك بل لقد كان ينتقد اعمالك احيانا .**

ـــ مهلا يا عزيزى مهلا .. لم تكن لوحاتى كلها صور عارية .. فالصور العارية جزء من انتاجى .. لقد رسمت مئات من صور الأشخاص والمناظر الطبيعية ومناظر الصيد .. بل ماذا يقال عما قدمته من رسوم دينية صورت فيها المسيح .. ما الراى فى لوحتى الشهيرة « النزول من الصليب » .

● **يقولون أن هنالك من الفنانين من قدم لوحات عن المسيح لا تقل عظمة وروعة وشهرة عن لوحاتك الدينية .**

ـــ ان لوحاتى عن المسيح رسمتها باحساسى العميق بما كان

يشعر به ويعانيه من آلام .. فى نسيج اللحم .. فى العيون والشفاه .. فى وضع الرأس فى انهيار الجسد .. ولكن الأهم من ذلك كله سر العاطفة التى أثيرها انما يكمن فى الحركة .. ايقاع الحجم واللون .. ايقاع الحماسة الدينية .

● **نحن لا ننكر ابدا عظمة فنك أيها النبيل روبنز فرغم مضى اربعة قرون على مولدك مازال ينطق بالحيوية والعظمة والرهبة .. نحن لا ننكر ذلك الكم الهائل من اللوحات الخالدة التى زادت عن السبعة آلاف لوحة .. نحن لا ننكر تزيينك سقف الهوايت هول بالرسوم الرائعة ولكن نستفسر ... هل رسمت هذا العدد الكبير من اللوحات بنفسك ؟**

— بالطبع لا .. فهنالك من المساعدين .. عشرات من الفنانين الموهوبين جعلتهم يساعدوننى .. صقلت مواهبهم الفنية .. أجزلت لهم العطاء المادى كان يسرهم دائما أن يعملوا معى فكسبوا الخبرة والمران والشهرة العريضة فيما بعد .. من هؤلاء « انتونى فان دايك » و « جان بروجيل » و « فرانس سنايدرز » .

● **حقا لقد كانوا فنانين عظام .**

— وطالما ذكرنا هؤلاء المساعدين فلابد ان تعرف تلك الحقيقة الهامة .. فان الأعمال التى كلفت بها كانت كثيرة جدا واصبح من المستحيل على أن انفذها وحدى فكنت ارسم الخطوط الخارجية للصورة واحدد الألوان ثم اقوم انا أو احد تلاميذى بالتلوين ويتولى احد المساعدين اضافة المناظر الطبيعية بينما يقوم الثانى برسم الخيول والثالث برسم الحيوانات المفترسة والرابع للأشخاص ثم اضيف لمساتى النهائية التى تطبع اللوحة بطابعى .

● **ان عظمتك لا تكمن فى هـــذه الحصيلة الرائعـــة من اللوحات والرســوم فحسب ، بل تكمن فى صفاتك العظيمـة التى تميزت بها ، فانك لم تخدع ابدا احد عملاءك الذين اشتروا لوحاتك بل كنت تذكر فضل مساعديك وتلاميـذك ولعل خطـابك الذى ارسلته الى اللورد البريطـانى تقول فيه « ان لوحة « بروميتوس » اصيلة ومن صنع يدك والنسر رسمه مساعدك « فرانس » .. تاكيـدا بانك تحـاول اظهار جهود الآخرين من مســاعديك وهو ما يفتقر اليه الآن فنانو القرن العشرين » .**

ـــ ان الفن رسالة تتناقلها الأجيال .. علم لابد أن يرتفع خفاقا وتقاس الدول الآن بعظمـة فنانيها .. فيجب الا يبخل ذوى الموهبة منهم عن مساعدة اخوتهم .. فانهار المعرفة والفن لابد وان تصب جميعها فى اعداد دول قوية شامخة .

● **احيانا يحتاج فنانو هـذا العصر الى معرفة لمحـة من حياة عباقرة فنانى القرون المـاضية فهل لك ان تقدم لهم يوما من حياتك يا سير بيتر بول روبنز ؟**

ـــ لقد كنت منظما فى حياتى ولعل هذا التنظيم هو الذى اضفى على من الحيوية الكثير .. كنت استيقظ فى الرابعـة كل صـباح واحضر للصـلاة المبكرة ثم ابدا فى العمـل . وفى اثنـاء انشغالى بالرسم انصت الى غـلام مهمتـه أن يقرأ لى مؤلفـات تاسيتوس أو بلوتارك . وفى الظهر اتوقف لتناول وجبـة خفيفة معظمها من الخضروات لأننى كنت اعتقد أن اللحوم تضر الفنـان الخالق . وفى الساعة الخامسة اترك الرسم وامتطى صهوة جوادى اتنزه به فى مشارف انتويرب وفى المساء يجتمع الأصـدقاء والأسرة حول مائدتى الحافلة يأكلون ويتحدثون .

● لى ملاحظـة صغيرة على برنامجك .. اذ كيف اثنـاء انشغالك بالرسم تنصت الى شخص يقرا عليك بعض المؤلفات .

ـــ بل اكثر من ذلك لقد كان بوسعى ان ارسم وانصت الى كتـاب يقرا على ، واملى خطابا بل واتجانب مع زوارى اطراف الحديث بلغاتهم المختلفة كل ذلك فى آن واحد .. واريد ان اذكرك اننى كنت اتفاهم مع زوارى بسبعة لغات اعرفها .

● ما هى اجمل لوحاتك ؟

ـــ كانك تسالنى اى من الأبناء افضل .

● حتى فى ردودك عن الفن تستخدم الدبلوماسية .. بماذا تنصح فنانى القرن العشرين من واقع تجربتك الشخصية .

ـــ اقول لهم ان رابطة الرسامين فى انتويرب قد اعترفت بى رسميا كاستاذ وانـا مازلت فى الحادية والعشرين من عمرى ومع ذلك واصلت الدراسـة والتعليم الى آخر حياتى .. وفى سـن الخمسين كنت لا ازال اصنع نسخا من لوحات « تيتان » وغيره لتحسين اسـلوبى الفنى . لقد كنت ارسم بسرعة رهيبة لا اتردد ولا اصحح حتى ان لوحتى « عبادة المـاجى » التى تعتبر من اكبر لوحاتى الفنية اتممتها فى ستة ايام . وبالرغم من ان داء النقرس الذى اصاب يدى بالعجز فى ايامى الأخيرة امسكت بالفرشاة التى كانت تسقط احيانا كثيرة من بين اصابعى المتصلبة ورسمت حتى وفاتى فى عـام ١٦٤٠ . ان اهم ما انصح به الرسـام النـاجح الا يفسده النجاح مطلقـا .. والآن اسمح لى ان اهمس فى اذنك بذلك السؤال : هل يذكرنى جيلكم ؟

● بالطبع يذكرك .. على الرغم من شهوانية فنك ـ ان صح هذا التعبير ـ فلم تكن انت شخصيا فنانا بوهيميا فليس فى سيرتك بتاتا ذكر لمغامرات غرامية او غير غرامية .. فان لم يذكرك هـذا الجيل للوحاتك العارية التى من المؤكد انها تشـده اليها فسوف يذكرك لصورك الدينية العديدة الخالدة .. كما سيذكر لك دبلوماسيتك وثقافتك وفنك .. فقد اعطيت المثل العملى على امكانية ان يخدم الفن السياسة منذ اربعمائة عام او يزيد .

أيها السفير العبقرى

أيها السير النبيل

« بيتر بول روبنز »

جريدة أخبـار دمياط .

العدد ١٤٣٧ بتاريخ ١٩٨٣/٤/١١ .

العدد ١٤٣٨ بتاريخ ١٩٨٣/٤/٢٥ .

جـول فـيرن

١٨٢٨ – ١٩٠٥

هل استطاع الأدب ان يسبق العلم
فى الوصول الى القمر منذ قرن أو يزيد

تغنى به الشعراء فى كل عصر واستلهمه الفنانون والأدبـاء .. واستانس به العشاق فى ليـالى الوجد والسهاد .. وحلم الكثيرون بالصعود اليه .. وبأصالة الأديب كتب قصته « من الأرض الى القمر » .

دفعنى الشوق الى استعادتها ولم أكن اتصـور ان ما كتبه جول فيرن بخيـال الأديب عام ١٨٦٥ قد حققـه العلم فى صيف عـام ١٩٦٩ عندما هبط على

سـطح القمر أول رائدين من البشر خـلال رحـلة « ابوللو ١١ » .

لقد كان من الضرورى أن اصطحبك معى يا عزيزى الى قرية « آمى » بفرنسا حيث اقـام هـذا الأديب الكبـير لنتعرف به .. لنلتقى بذلك الرجـل الذى استطاع ان يسبق العلم فى الوصول الى القمر بقرن من الزمان او يزيد .

● **سألته عن مولده فاجاب :**

ـــ ولدت فى مدينة « نانت » بفرنسا فى ٨ فبراير ١٨٢٨ . كان جدى لأبى قاضيا فاتجه ابى لدراسة القانون وتزوج من أمى التى كانت تنتمى الى أسرة من رجال الملاحة وصناع السفن .

● **بعد مولدك ماذا تذكر من ايام صباك ؟**

ـــ فى سن السادسة بدات اتلقى العلم .. وفى سن الحادية عشر ابحرت خلسة الى الهند على سفينة صغيرة لكن ابى لحق بى فى « بامبوف » وعنفنى واعادنى .. فى سن السادسة عشر التحقت بمدرسة الليسية فى نانت حيث اتممت تعليمى حتى حصلت على البكالوريا وبدات دراسة القانون .

● **الذى طلبت دراسته فى باريس هربا من حبك لابنة عمك .**

ـــ كارولين .. لقد احببتها بجنون ولكنها تزوجت بغيرى .. فادركنى اليأس واستاذنت ابى لأكمل دراسة القانون فى باريس .

● هل يمكنك القاء الضوء على حياتك فى باريس ؟

— لقد عاشت كثيرا .. أقمت فى غرفة معروسه مع رمبل لى كنت اتنادل معه سيره الشهرة الوحيده لدينا لأحضر سهرات المسارح فقد كانت الحركة المسرحية فى قمتها .. صمت عن الطعام ثلاثه أيام لأسترى مسرحيات سكسبير .. تعرفت بديماس الأب الذى أوحى الى بفكره ثلاث مسرحيات مثلت احداها فى المسرح التاريخى فى ١٢ يونيو ١٨٥٠ لمده ١٢ ليله . فى هذا العام أنهيت دراستى للقانون ولكننى رفضت ممارسته مؤثرا مراوله هوايتى المفضله الأدب ، مستعينا على المعيشة باعطاء دروس خصوصيه . فى عام ١٨٥٢ سر لى أول فصلين هما السفن الأولى للحريه المكسيكية ورحلة منطاد ثم أتبعتهما بقصتى الطويلة (مارتان نار) . وفى العام التالى مثلت لى أوبرت من فصل واحد.

● كل هذه المؤلفات وانت مقيم فى غرفتك المفروشة مع زميلك ؟

— لا .. فقد انتقلت مسكنا صغيرا بشارع (بون نوفل) وعكفت على التأليف وسرت لى روايتا السيد زاكاريوس عام ١٨٥٤ وستاء فوق الثلج عام ١٨٥٥ .

● متى انتقلت للاقامة بشارع مونمارتر .

— عندما تزوجت من « أونورين آن هيبيه موريل » فى ١٠ يناير ١٨٥٧ وكانت أرملة فى سن ٢٦ ولها ابنتان من زوجها الأول . انتقلت للاقامة بمونمارتر وتتابعت كتبى عن رحلاتى الى انجلترا واسكتلندا عام ١٨٥٩ والنرويج واسكندنافيا عام ١٨٦١ .

● **يقولون انك عشت فى القرن الذى انجب العباقرة .**

ـــ بالطبع فكل الأفذاذ مثل بلزاك .. ديكنز .. تولستوى .. ترجنيف .. دستويفسكى .. فلوبير .. ستندال .. جورج اليوت .. زولا .. ديماس الأب .. كل هؤلاء ثمرة القرن التاسع عشر .

● **ما دمنا قد ذكرنا ديماس الأب فانهم يقارنون بينك وبينه فى عبقريتك وقوة خيالك .**

ـــ قد يكون هذا صحيحا ولكن أعتقد أن هناك فارقا واحدا بينى وبينه . فبينما سلط اسكندر ديماس الأب اشعاع خياله على الماضى يستخرج منه أروع رواياته سلط أنا هذا الاشعاع على المستقبل أستنبئه أعجب النبوءات التى تحقق الكثير منها .

● **يقولون انك كنت تهوى شراء سفن الصيد واليخوت الفاخرة .**

ـــ حقا بالرغم من انتقالى الى منزل فاخر فى (كروتوى) يحوض السوم بعد أن واتتنى الشهرة ، فقد اشتريت سفينة صيد أطلقت عليها اسم « سان ميشيل » لقد كنت اعتبرها مكتبى العائم وعلى ظهرها كتبت قصتى عشرون الف فرسخ تحت الماء . وفى عام ١٨٧٤ اشتريت يختا فاخرا أسميته سان ميشيل الثانى . وفى عام ١٨٨٠ اشتريت يختا آخر اسميته سان ميشيل الثالث .

● **من الملاحظ انك قد سميت اليخوت الثلاث سان ميشيل الأول والثانى والثالث .. ترى هل هنالك سبب لذلك ؟**

ـــ نعم فقد أطلقت عليها سان ميشيل تيمنا باسم ابنى الوحيد ميشيل الذى رزقت به عام ١٨٦١ .

● وماذا عن هواياتك للرحلات ؟

ـــ الرحلات .. ما اجملها وما امتعها .. فقد سافرت فى رحلات عديدة فى البحار والأقطار الأوروبية وكان شريكى فى هذه الرحلات الشاب « اريستيد بريان » الذى أصبح رئيسا لوزراء فرنسا فيما بعد .

● هل كنت مغرما بالريف حتى انك تركت باريس لتقيم فى قرية آمى .

ـــ الحقيقة اننى فقدت ابى كما فقدت امى عام ١٨٨٧ وشقيقى بول عام ١٨٩٧ لذلك آثرت ان اعيش بقية حياتى فى هذه القرية الهادئة حيث فزت فى انتخابات المجلس البلدى فتقاسمتنى اعباء التاليف والادارة المحلية حتى عام ١٩٠٢ حيث أصبت بالمياه الزرقاء فى عينى وخلدت للراحة حتى وفاتى فى ٢٤ مارس ١٩٠٥ عن ٧٧ عاما .

● متى بدأت تلفت اليك الأنظار ؟

ـــ فى الأعوام من ١٨٦٣ الى ١٨٦٥ خلال هذه الفترة قدمت الى الناشر هيتزل روايتى ٥ أسابيع فى منطاد .

● التى حققت نجاحا ساحقا فى فرنسا والخارج وتعاقد معك على نشر كتبك لعشرين عاما متتالية .

ـــ ليس هذا فحسب بل اشركنى الناشر هيتزل فى انشاء مجلة جديدة بدأت تنشر لى رواياتى مسلسلة قبل جمعها فى كتاب .. فظهرت لى مغامرات القبطان هاتيرا ثم رحلة الى جوف الأرض عام ١٨٦٤ .

● **بالطبع لا يمكننا ان نعدد مؤلفاتك التى زادت عن ٨٠ قصة طويلة او رواية الى جانب اشرافك ومشاركتك فى ١٥ مسرحية بخلاف كتبك الغير روائية التى منها .**

ـــ الجغرافيا المصورة لفرنسا ومستعمراتها عام ١٨٦٨ ، وتاريخ الرحلات الكبرى والرحالة الكبار عام ١٨٧٨ وكريستوف كوليس عام ١٨٨٣ .

● **ونحن لا ننسى ايضا سلسلة الكتب التى انشأتها بعنوان « رحلات خارقة للمألوف » والتى استمر نشرها ٤٠ عاما .. لقد توصلت بخيالك الروائى الى الحقائق العلمية قبل ان يبلغها اجتهاد العلماء باكثر من قرن .**

ـــ نعم فقد تواخيت فى مؤلفاتى الدقة اذا ما عالجت موضوعا علميا . فلم أطلق خيالى على عواهنه وانما درست كافة الحقائق العلمية دراسة دقيقة لأبنى عليها وقائع روايتى .. ففى قصتى عشرون الف فرسخ تحت الماء فقد صورت الغواصة قبل أن تخترع وفى قصتى ثمانون يوما حول العالم وصفت فيها الطائرات قبل أن تظهر للوجود .

● **حقا ان القارىء لرواياتك سوف يعجب لهذه الطاقة الخارقة من الخيال وقوة الابتكار عندك ، فقد عكفت على تطويع الكشوف العلمية غير المنظورة فى عصرك لمجهودك اليومى من الخلق والابتكار على صفحات رواياتك العديدة الباهرة وخصوصا قصتك « رحلة من الأرض الى القمر » ..**

ـــ فى هذه القصة كانت حساباتى وتقديراتى كلها صحيحة ودقيقة لأننى اعتمدت على قوانين الطبيعة وطبقتها فى تصوراتى

وتخيلاتى واعتمدت كذلك على النظريات الفلكية القديمة . ان قصتى رحلة من الأرض الى القمر التى قدمتها عام ١٨٦٥ بالرغم من أنها من قصص الخيال العلمى الا أنها تشابهت مع العمل الخارق الذى قامت به أبوللو ١١ عام ١٩٦٩ أى بعد أكثر من قرن من الزمان .

● **هل يمكننا ان نعرف اوجه الشبه بين احداث قصتك هذه ورحلة ابوللو ١١ ؟**

ـــ فى قصتى من الأرض الى القمر .. الكبسولة كانت تحمل ثلاثة رجال (امريكيين وفرنسى) ، كما أن ارتفاع الكبسولة المخروطية الشكل والمصنوعة من الألونيوم ١٢ قدما وقطرها ٩ أقدام .. ترى كم حملت كبسولة أبوللو ١١ وما حجمها ؟

● **لقد حملت ثلاثة رواد هم ارمسترونج وكولنز والدرين .. اما ارتفاعها فكان احدى عشر قدما وسبع بوصات وقطرها اثنى عشر قدما وعشر بوصات .**

ـــ هذا صحيح .. اما عن المكان الذى انطلقت منه الكبسولة فى قصتى بقرب من خط العرض ٧٧ فى فلوريدا على بعد ١٤٠ ميلا من (كيب كندى) واعتقد انه نفس المكان الذى انطلقت منه أبوللو ١١ .

● **كما أننى أذكر ان فى قصتك جعلت تكساس تحصل على شرف اطلاق الكبسولة من ارضها .. وقد قدر لتكساس أن تكون المكان الحقيقى الذى اختارته هيئة الفضاء للاشراف على سير الرحلة لمركبة ابوللو ١١ .**

ـــ ليس هذا فقط .. بل لقد قدرت سرعة الكبسولة عند اطلاقها بـ ٣٦ الف قدم فى الثانية وبعد اطلاق مركبة أبوللو ١١ كانت سرعة محرك المرحلة الثالثة ٣٥٥٣٣ قدما فى الثانية .. كما اننى قدرت لكبسولة المركبة فى قصتى زمانا لا يزيد على ٩٧ ساعة و ١٣ دقيقة و ٢٠ ثانية لكى تصل الى القمر .. هل تذكر كم من الوقت استغرقته أبوللو ١١ فى رحلتها ؟ .

● **نعم فقد استغرقت الرحلة ١٠٣ ساعات و ٣٠ دقيقة .**

ـــ ماذا اقول لك يا عزيزى عن اوجه الشبه الأخرى بين قصتى الخيالية من الأرض الى القمر وما قامت به أبوللو ١١ .. هل اقول لك لقد دارت كبسولتى عدة مرات حول القمر وعلى نفس الارتفاع الذى وصلت اليه أبوللو ١١ .. هل اقول لك لقد عاين رجال الفضاء الذين كانوا فى الكبسولة حالة انعدام الوزن وصور كل من الفريقين السطح القمرى ـ كما رسمت أنا منذ نحو مائة عام أو يزيد ـ بحر الهدوء الذى هبط اليه عام ١٩٦٩ كل من ارمسترونج وادروين الدرين .. بل قد تدهش عندما تعلم خاتمة قصتى .. فقد هبطت كبسولتى فى المحيط والتقطت سفينة ضخمة رجال الفضاء بعد هبوطهم من القمر وهو ما حدث لرواد أبوللو ١١ تماما .

● **لحظة من فضلك يا مسيو جول فيرن ... هل يمكننى ان اعرف كيف صورت لحظة انطلاق الكبسولة كما تخيلتها فى قصتك هذه .**

ـــ لقد كتبت ببساطة « زلزلت الأرض زلزالها وانطلقت الكبسولة تشق طريقها نحو السماء وصوت الرعد يصم الآذان وكأن بركانا قد انفجر فجأة فالتهبت السماء وظهرت كرة من النيران وتراكمت حولها الأبخرة وسحب الدخان » .

● **يالله .. ان ما صورته عام ١٨٦٥ هو ما حدث عند اطلاق كبسولة ابوللو ان ما يدهشنى يا اديبنا (جول فيرن) انك صوبت كبسولتك نحو القمر بنفس الطريقة التى صوبت بها هيئة (ناسا) مركبة ابوللو ١١ نحو النقطة التى حددت لها على القمر .. ولكن مهلا يا مسيو (فيرن) ان رواد سفينتك لم يهبطوا على سطح القمر لماذا ؟؟**

ـــ لأننى اخطأت فلم امدهم بمردية فضاء خاصة .. ولكننى امددتهم بمحركات صاروخية مثل المحرك الصاروخى الذى استخدمه رواد ابوللو ١١ عند عودتهم من القمر الى المحيط الهادى .

● **حقا لقد كنت يا مسيو (جول فيرن) احد هؤلاء الذين تنبأوا بهذا الانتصار العلمى الرائع .. وبلا جدال فقد كنت اعظم كتاب القصة العلمية الخيالية فى عصرك .**

ـــ شكرا ولكن اسمح لى ان استفسر منك هل مازال جيلكم يذكرنى أم ان أضواء الاكتشافات الحديثة هزتكم وما توصل اليه العلم والتكنولوجيا شدكم اليه فتناسيتم اننا كنا أول من أضاء لكم الشموع لتضعوا أرجلكم على أول سلم الصعود للمجد ؟

● **اننا لم ننساك ابدا يا مسيو جول فيرن .. ان قرية (آمى) التى عشت فيها بقية حياتك يا مسيو فيرن الم تكرمك**

عندما منحت كلا من رواد ابوللو ١١ ارمسترونج وكولنز والدرين تقليدها المعروف بان يصبحوا مواطنين لها ؟! .. ثم لماذا نذهب بعيدا .. اليس هذا اللقاء بيننا كفيل بأن يعيدك لاذهان شباب جيلنا من هواة البحث العلمى والقصص الخيالى يا اديبنا المبدع .

جول فيرن

اذاعة لندن ١٩٧٧/١٠/٢٨ .

اليزابيث بلاكويل

١٨٢١ – ١٩١٠

النموذج الشرف لكفاح اول امراة درست الطب في امريكا

الذين تصوروا ان المراة اكتسبت حقوقها في سهولة ويسر هم واهمون .. الذين تصوروا ان المراة نالت حقوقها استنادا الى سلاح الجمال والدلال والرقة هم ايضا واهمون .. فما انتزعته المراة من حقوق اكتسبته بكفاحها المضني بصمودها في وجه المواصف .. بجدها واجتهادها .. بثقتها بنفسها .. بقوة شخصيتها وصلابتها .. بجلدها وصبرها

واصرارها .. بالنحت فى الصخور باظافرها .. ولعل خير مصداق لهذا الكفاح المشرف للمراة هو ان اصطحبكم معى فى لقاء اول فتاة طلبت فى اصرار ان تلحق بكلية الطب اسوة بالذكور من الطلبة فحق لها ان تسمى اول طبيبة فى امريكا .

● **سألتها عن طفولتها فاجابت :**

ـــ ولدت فى انجلترا عام ١٨٢١ ومن طفولتى اظهرت ميلا شديدا للعلم والمعرفة لمـا بلغت الحادية عشر من عمرى انتقلت مع والدى الى أمريكا . لم تمض سبع سنين حتى اتممت التخصص فى دراسة التاريخ فضـلا عن اجادة اللغتين الفرنسية والأسبانية . عملت بالتدريس ولكن سرعان ما سئمتـه وفكرت فى البحث عن عمل آخر .

● **اسمحى لى بعد ان قدمتى لنا لمحـة سريعة من طفولتك وفجر شبابك ان اسألك كيف نبتت عندك فكرة دراسة الطب .**

ـــ ذات يوم مرضت جـارة لى فقيرة فتطوعت لخدمتهـا وقضاء مطالبها فى أوقات فراغى وشعرت بمتعة كبيرة فى تمريضها وحين تماثلت للشفاء همست فى اذنى اننى مدينة للمسات يدك ونظراتك الرحيمة بما حصلت عليه من الشفاء . لمـاذا لا تكون مثلك طبيبة ؟ . . استعدت هـذا القول الأخير أكثر من مرة ووجدت رغبة حقيقية فى تعلم الطب واحترافه . عندما حضر طبيب العائلة لزيارتنـا تحدثت اليه فى رغبتى دراسـة الطب فقـال لى انك

تستطيعين دراسة التمريض او الولادة اذا شئت اما دراسة الطب فلا يصلح لها الا الرجال .

● **يبدو ان طبيب الأسرة قد صدمك برايه مما دفعك لأن تعودى الى مهنة التدريس رغم كراهيتك لها .**

— من قال هذا .. ان اصراره على أن مهنة الطب لا تصلح الا للرجال دفعنى الى قراءة الكتب التى تبحث فى مختلف فروع الطب كل هذا الى جانب عملى كمدرسة حيث ادخرت مبلغا من المال يكفى لنفقات تعلمى الطب وذهبت الى فيلادلفيا لألتحق باحدى كليات الطب المعروفة بها .

● **بالطبع رحبوا بك :**

— رحبوا بى .. لقد رفضت جميع كليات الطب طلبى .. بل رفضته أيضا اثنتا عشرة مدرسة طبية أخرى فى اماكن مختلفة .. لقد جحظت عينا عميد احدى كليات الطب دهشة حين اقدمت على محاولة دراسة الطب واتهمنى بأننى مصابة بلوثة فى عقلى .. عميد مدرسة طب ردنى قائلا : أيسر عليك يا ابنتى أن تتزعمى ثورة من أن تصبحى طبيبة .

● **مسكينة لقد قطعوا املك فى تحقيق رغبتك .**

— بالعكس لم ايأس مطلقا .. بل لم اجد بأسا فى الالتجاء الى الكليات الصغيرة المغمورة فقبلتنى احداها بمحض الصدفة .. الصدفة وحدها .

● **كيف هذا بربك ؟**

— عندما قدمت طلبى للالتحاق بتلك الكلية المغمورة راى

اعضاء مجلس الكلية أن تكون رفض طلبي عن طريق استفتاء الطلبة في شأنه على ألا أقبل الا اذا اجمع هؤلاء على قبولي . وبالطبع كان المجلس على يقين من أن الطلبة لن يجمعوا على ذلك ولكن حدثت المعجزة فأجمع الطلبة على قبولي .

● برافو .. لقد أكد الطلبة باجماعهم على قبولك شجاعة الرأي قبل أساتذتهم ولابد قد ساعدك تأييدهم في تذليل العقبات التي تقف في طريق دراستك .

ـــ شجاعة الرأي .. أنت واهم يا عزيزي .. لقد أجمع الطلبة على قبولي لا لشيء الا لكي يتخذوني موضوعا للضحك والسخرية .. ماذا أقول لك .. هل أحدثك عن أساتذة الكلية الذين كانوا لا يعروني أي التفات خلال محاضراتهم .. أم الطلبة الذين كانوا يتضاحكون على كلما سنحت لهم الفرصة .

● أساتذة لا يعيرونك التفاتا .. وطلبة يتضاحكون عليك.. أي جو هذا الذي كنت تعيشين فيه ؟

ـــ لو كان على الأساتذة والطلبة لهان الأمر .. ولكن ماذا تقول في ذعر أهل الضاحية عندما سمعوا ان فتاة قد التحقت بكلية الطب .. ماذا تقول عن أصحاب البنسيونات الذين أغلقوا أبوابها في وجهي .. أو بالأحرى في وجه هذه الفتاة الشاذة (المسترجلة) على حد قولهم .. ما رأيك في صبية صغار يجرون ورائي كلما رأوني في الطريق يصطحبونني في غدوي ورواحي مهللين ساخرين .. حقا لقد كانت أيامي هذه مريرة قاسية .

● يقولون ان لك من المواقف الشجاعة الكثير خلال دراستك فهل لك أن تميطي اللثام عن أحد هذه المواقف مع أساتذتك ؟؟

ـــ مع أستاذ التشريح بالذات .. فبعد اسابيع من التحاقى بالكلية طلب الى الا أحضر الى قاعة التشريح حيث أنه سيقوم باجراء جراحة دقيقة وحرجة امام الطلبة ولما كنت اؤمن بالقول لا حياء فى العلم فقد قلت له فى ثبات وحزم لقد دفعت مصروفات الكلية كما يدفعها اى طالب آخر وان لى الحق فى ان أشهد جميع ما يجرى فى الكلية امام الطلبة .

● وهل حضرتى العملية ؟

ـــ نعم فقد رأى الأستاذ أن يستشير الطلبة فى حضورى تلك العملية وهو يعلم انهم سيؤيدون رأيه الا انهم فى هذه المرة ايضا وافقوا على أن أحضر معهم اجراء الجراحة فى غرفة التشريح وراحوا يضحكون سلفا مما لابد ان يحدث لى من ذعر واضطراب ولكننى كنت اثبت قلبا منهم جميعا فخاب بالطبع املهم .

● عطلاتك الصيفية كيف كنت تقضيها ؟

ـــ بالطبع يعوزنى الوقت لكى اقص عليك ما صادفنى من عبث واضطهاد ومشقة واهانات طوال اربعة سنوات درست فيها الطب قضيت خلالها اربعة عطلات صيفية حافلة بالتعصب لجنس الرجل .

● اصحيح هذا ؟ اذن لابد وان تحكى لنا ولو موقفا واحدا لعنت الرجال حتى أتمكن ـ على الأقل ـ من عقد مقارنة بين الرجال فى جيلكم وبينهم الآن .

ـــ لما حلت العطلة الدراسية تقدمت للامتحان بمستشفى للفقراء فى فيلادلفيا ولكن مدير المستشفى رفض ذلك قائلا : انك

قد تنسين انوثتك اما نحن فلا يمكن أن ننساها .. ولكننى الحفت فى الرجاء كى يقبلنى ولو ممرضة . وكان التمريض فى ذلك الحين يكاد يكون وقفا على الرجـال فقبلنى على مضض . ولم يرحب أطباء المستشفى بوجودى بينهم . وكانوا يتركون اماكنهم اذا رأونى مقبلة نحوهم . وكان المرضى انفسهم يرفضون أن اقوم بمعاونتهم وتلبية طلباتهم حتى ان أحدهم قال لى يوما « اننى فقير حقـا ولكننى لن اقبل أن تعنى بى امراة فى اثناء مرضى » .

● **على كل حـال يا عزيـزتى اليزابيث .. ان فوزك فى الامتحان النهائى لدراسـتك للطب بتفوق لابـد وان يكون قوبل بالتقدير لا فى فيلادلفيا وحدها بل فى العالم اجمع .**

ـــ واهم .. واهم .. لقد سخرت الأوساط الطبية منى وحاولت ان تقلل من شأن تفوقى .. حتى الصحافة علقت على خبر نجاحى قائلة « مما يدعو للأسف ان نرى فتاة (شاذة) تخرج عن حدود دائرتها الطبيعية فتسعى الى النزول فى ميادين لا تصلح الا للرجـال » .

● **لعل هـذا ما دفعك للسفر الى باريس لتتخصصى فى الجراحـة .**

ـــ فعلا .. بعد ان حصلت على الشهادة بثلاثة شـهور ذهبت الى باريس لأتخصص فى الجراحة ولكن رفضت جميـع المعاهد الطبية هناك ان تقبلنى بل أشيع بين الناس اننى (مجنونة) فاضطررت الى التطوع للعمل فى أحد مراكز رعاية الطفل وكان عملى مقصورا على حمل الأغذية للأطفال وتقديم الدواء وما الى ذلك من أعمال المرضين والخـدم . وفى ذات ليلة دعيت للمرة الأولى لكى احقن طفلا مريضـا وكان ذلك لغياب الطبيب المختص .

● حسنا لقد واتتك الفرصة حتى عندك كى تثبتى وجودك كطبيبة ..

ـــ تمهل .. تمهل لتعرف ما تم .. فقد ملأت الحقنة وتوجهت بسرعة الى سرير الطفل وانا فرحة بسنوح هذه الفرصة حتى زلت قدمى فجأة وسقط على الأرض وتطاير الدواء من الحقنة التى كانت بيدى ودخل بعضه فى احدى عينى .

● مسكينة يا حرام .. معنى هذا فشلك فى اول محاولة عملية لك .

ـــ يا ليت هذا فقط .. ولكن عينى التى دخلها الدواء ما لبثت أن تلفت ولم يجد فيها العلاج .. وهكذا فقدت كل أمل فى التخصص فى الجراحة واضطررت أن اعود الى أمريكا وانا فى شدة الحزن ومنتهى الضيق .

● يبدو أن حزنك هذا قد دفعك لاعتزال مهنة الطب .

ـــ كيف أعتزل بعد هذا المشوار الطويل فبعد أن استقريت فى نيويورك ذهبت للبحث عن عيادة أزاول فيها مهنة الطب .

● لقد رحبوا بك قطعا .

ـــ من ؟؟ أصحاب البيوت .. لقد رفضوا أن يؤجروا لى مسكنا لهذا الغرض ظنا منهم أن عيادتى سوف تصبح مباءة يتردد عليها الشبان الفاسدون وعندما عثرت أخيرا على مكان يصلح عيادة اشترط على صاحب البيت الا اعلق لافتة باسمى .

● **يا للعجب .. اذن كيف عرف عيادتك المرضى دون ان تعلق لافتة باسمك .**

— لم يعرفها أحد وظللت اسبوعين انتظر مرضى ولكن احدا لم يات

● **اعتقد ان هذا ضايقك كثيرا .**

— فعلا ولكن كان من الضرورى ان اقطع ملل الانتظار فجلست اكتب قصة حياتى وبدات انشرها فى المجلات وبدأ النساء يترددون على فى الخفاء وفى حذر شديد .. فكرت ان افتتح مستوصفا صغيرا ورحت اشيع بين المرضى دستورى فى العلاج وهو يتلخص « ان الهواء النقى والنظافة والغذاء المنتظم هى مقومات الصحة الجيدة » .

● **من المؤكد ان يكون قد اعجب بنصيحتك هذه الكثيرون والكثيرات وبفضلها ازداد الاقبال على مستوصفك .**

— نصيحتى هذه عندما كان يستمعها المرضى يضحكون على .. بفضل نصيحتى سرعان ما ذهب راس مال المستوصف فاضطررت الى غلقه .

● **يبدو ان الحظ كان يعاندك يا دكتورة (اليزابيث بلاكويل) .**

— الى حين .. فبعد ان حذت اختى حذوى فى دراسة الطب واتمت دراستها انضمت الى فى عيادتى ثم فكرنا ان نؤسس مستشفى كل موظفيه من الجنس اللطيف فاسسنا مستشفى للأطفال والنساء . تفتكر كم مريضا عالجنا خلال العام الأول من افتتاحه .

● **حسب ظروف الحظ الذى يعاندك منذ بدانا نستعرض قصة حياتك فارجو ان تسمحى لى بالاحجام عن تقدير عدد مرضاك .**

ـــ ان الحظ لم يولينى ظهره على طول الخط .. فقد كان يضعنى موضع الاختبار ليرى الى اى مدى يمكن لامراة مثلى الصمود فى وجه الرياح العاتية .. وحمدا لله مرت العاصفة بسلام .. فبالرغم من انه حدث ذات مرة ان ماتت مريضة بمستشفانا ومع أن التحقيق اثبت ان لا مسئولية على او على أختى .. الا انه هجم علينا جماعة من الفلاحين بعصيهم ولولا توسل مريضة كانت قد شفيت على أيدينا لهلكنا فى ذلك اليوم . لقد كانت مريضة ضمن تسعمائة وخمسون مريضة عولجت فى مستشفانا خلال العام الأول من افتتاحه .

● **لقد سعدت الآن فقد ابتسم لك القدر .**

ـــ ابتسم حقا .. فقد ازدهر المستشفى .. بدا الأطباء يترددون الى والى شقيقتى باعتبارنا مديرتى المستشفى ... حضر الأطباء من الخارج خصيصا ليدرسوا النظم المتبعة فى مستشفانا .

● **همسة فى اذنك يا دكتورة اليزابيث .. هل اكتفيت بنجاحك فى مستشفاك ؟**

ـــ بالطبع لا .. ففى عام ١٨٦٦ اسست مع شقيقتى كلية طب خاصة بالنساء الى جانب مستشفانا .. لقد كانت هذه الكلية بما عرف عنها من دقة وكفاءة موضع فخر واعجاب حتى ن رجال التعليم فى امريكا اخذوا يفتتحون فى نيويورك وبوستن فيلادلفيا كليات خاصة بالطالبات على نسق كليتى التى اسستها .

● **مما لا شك فيه يا دكتورة انك اول امراة اصبحت اول طبيبة فى امريكا .. ولكن هل اقمت فى امريكا حتى نهاية العمر ؟**

ـــ لا فقد غادرت امريكا الى انجلترا فبعد ان اعتزلت العمل ابحرت الى انجلترا مسقط راسي وبالرغم مما اصابنى من مرض هضال فقد مكفت على تاليف عدة كتب وانا طريحة الفراش .. لم ينسينى آلام مرضى فى اخريات ايامى سوى الأخبار الطيبة التى كانت ترد الى من شقيقتى عن تقدم المستشفى والكلية .. حتى جاء صاحب الجلالة (الموت) فاصطحبنى معه فى رحلة الأبد فى ٣١ مايو عام ١٩١٠ وتبعته صافرة مرغمة .

● **وان كنت قد ذهبت عنا بالجسد يا دكتورة بلاكويل يا طبيبة امريكا الأولى ففتيات جيلنا اليوم والأجيال القادمة سوف لا ينسون انك قد مهدت بكفاحك الطريق للآلاف والآلاف من الفتيات اللاتى يشتغلن الآن طبيبات ناجحات لا فى امريكا وحدها بل فى العالم اجمع ولتطمئن نفسك فهناك من المستشفيات فى امريكا والعالم كل موظفيها من النساء وجميع كليات الطب الآن ما عدا واحدة او اثنتين لا تفرق بين الذكور والاناث فى القبول .. لقد كنت شعلة مضيئة وسيظل نورك مشعا وكفاحك نبراسا تهتدى به فتياتنا ايتها العزيزة .. الدكتورة .**

اليزابيث بلاكويل

اذاعة لندن ١٩٧٨/٦/٢ .

فكتور هوجو

١٨٠٢ – ١٨٨٥

حين اعلنت وفاته رفع مجلسا الشيوخ والنواب جلساتهما حدادا عليه ، وتقرر ان يدفن فى البانتنون وان يكتب فوق قبره « الوطن يعترف بجميل رجاله العظام » . حياته ملحمة ممتلئة بلحظات من العنف والرقة والسمو والانحدار .. وحياة كهذه لابد وان توفر خيوطا كثيرة لنسيج التفكير والتامل والاستنتاج.

لقد كان ظاهرة انسانية عظيمة وشاعرا مجيدا.. تعالوا بنا نتعرف على شخصية العبقرى الذى افنى حياته فى سبيل فرنسا وفى سبيل الأدب .

● سالته عن مولده فاجاب :

ـــ ولدت فى ٢٦ فبراير ١٨٠٢ فى مدينة « بيزانسون » جنوب شرق فرنسا . ابى « ليو يول سيجسبير هيجو » كان جنديا شجاعا . تدرج فى الترقيات حتى وصل الى رتبة جنرال . امى « صوفى فرانسواز تريبوشيه » ابنة ربان سفينة تجارية احبت ابى لشجاعته واحبها هو لجمالها فتزوجا ورزقا ثلاثة اولاد هم : ابيل واوجين وانا فكتور .

● مـاذا عن طفولتـك ؟

ـــ فى الخامسة من عمرى توجهت مع الأسرة الى ايطاليا حيث عين والدى حاكما لولاية « افيلينو » . سحرتنى روما ونابولى وبركان فيزوف .. استقر فى مخيلتى قمم جبال الألب ومياه بحر الأدرياتيك . بعد فترة قصيرة عادت الأسرة الى باريس وتوجه أبى الى اسبانيا مع جوزيف بونابرت الذى عينه نابليون ملكا عليها .

● فى باريس اتخذت العائلة مسكنا بمنزل كان قبل الثورة ديرا للراهبات .

ـــ تقصد (الفاينتين) حيث أقمنا فيه قرابة الثلاثة أعوام .. كان منزلا متسعا تحيط به حديقة كبيرة ملأى بالأزهار وأشجار الفاكهة .. كنت أقضي فيها الساعات الهو مع أخوى أبيل وأوجين وأحيانا كانت تشاركنا اللهو أديل فوشيه اذا اصطحبتها والدتها لزيارتنا . لقد بقيت هذه الأعوال الثلاث عالقة بذهني أحن اليها كلما تذكرت أوقاتها السعيدة .

● **بعد أن عين والدك مارشالا للقصر الملكي في اسبانيا هل استدعاكم للاقامة معه هناك ؟**

ـــ نعم وبارحنا باريس في طريقنا الى مدريد .. لقد عبرنا فرنسا من الشمال الى الجنوب ومررنا بعدة مدن اسبانية مثل هرناني وتراكوبمادا .. لقد كانت رحلة شاقة استغرقت ثلاثة شهور تقريبا ولكنها تركت في ذاكرتي أثرا لم يمح .

● **بالطبع سعدتم بالقرب من والدكم بالرعاية والحنان خاصة وان الملك كان يغدق عليه بسخاء .**

ـــ الحقيقة كان أبي بحكم طبيعة عمله في تنقل مستمر فلم نستمتع برؤيته طويلا . أما أخي الأكبر (أبيل) فقد عين حاجبا في خدمة الملك وادخلت أنا وأخي (أوجين) مدرسة الأشراف في القسم الداخلي .

● **حيث استقبلتم بالترحاب حيث كان والدك محافظا (لأفيلا) أو حاكما لولاية .**

ـــ هذا وهم .. لقد كانت أيامنا في هذه المدرسة من أشقى أيام دراستنا كلها . عانينا فيها من قسوة الأستاذين بازيل

وماتوويل .. كما عانيا من ترتوفيا ذلك الاحدب الذى دان مكلفا بايعاظنا كل صباح .. فاذا أصغب الى ذلك بعور التلاميذ الأسبان وكرههم للعرنسيين العراه الذين سلبوا عرس ملوكهم لادركت مدى الحقد علينا .. لقد كانوا يضربوننا كلما سنحت لهم الفرصه وخاصه الطالبين ايسبرو وفراسكو .

● **يبدو ان هذه الفترة أمدتك بابطال قصصك .. فاعتقد أنك استعدت من شخصيه الأحدب كركوفيتا فخلقت منه شخصية (كازيمودو) فى روايتك « نوتردام دى باريس » .. كما أن تقمنك على ايسبرو وفراسكو دفعتك لأن تتخذ من الأول شخصية مجنون كروميل فى مسرحية كروميل ومن الثانى شخصية جويتا المقوب فى مسرحية لوكريس بورجيا اليس كذلك ؟**

— هذا صحيح فالأدب مزج بين الحقيقه والخيال .

● **هل لوالدتك اثر فى تثقيفك ؟**

— لم تكن امى تعمل عن تربيتنا وتعليمنا رغم أسفار ابى الكثيره .. فقد ادخلنا مدرسه الأب لاريغير لندرس مبادىء اللغه اللاتينيه واليونانيه .. لقد شجعتنا على القراءة .. قرات مؤلفات باسيت وكتاب الف ليلة وليله مشروحا بالصور . لقد كنت أتلهف به كلما تصفحته .. لقد اتاحت لى قراءه الكتب من مؤلفات روسو وفولتير وديدرو ورواية رحلات الكابتن كوك والوراه .. لقد كانت والدتى مولعة بالقراءه والاطلاع كما كانت تميل الى الحريه فى تربيتنا فلا عجب ان كنت قد قرات الكثير من الكتب الجيده والغير جيده .

● **متى بدأت كتابة الشعر ؟**

— كان عمرى اربعه عشر عاما عندما نظمت عددا من

القصائد فى الغزل والهجاء والفخر .. لقد أرسلت الى الأكاديمية الفرنسية قصيدة من ثلثمائة بيت من الشعر عنوانها « السعادة التى تنجم عن الدراسة فى جميع مراحل الحياة » .

● واستحسنت الاكاديمية شعرك ولكنها استصغرت سنك وظنتها خدعة منك فلم تجزك عليها واكتفت بتسجيل اسمك بين الشعراء .

— لقد شجعنى هذا النجاح على ارسال قصائدى الى اكاديمية الشعر بتولوز تلت عليها عدة جوائز وقد فازت آخر قصيدة منها وعنوانها « اعادة تمثال هنرى السابع » بجائزة الزنبق الذهبى .

● واخذ اسمك ينتشر فى البيئات الباريسية وطفق الناس يتحدثون عنك .. عن الطفل النابغة .

— كان من الضرورى أن أعتمد على قلمى .. فقد ساء الحال .. بدأت والدتى تسعى فى الطلاق من والدى الذى ذهب مع عشيقته سيسيل توما الى مدينة بلوا بعد أن تفاقم الخلاف وتركنا بلا نفقات .. لقد كانت قصيدة شديدة الهجاء اظهرت فيها ميلى الى الملكية .

● وأتبعتها بقصيدة أخرى عن (وفاة الدوق دى بارى) وحازت استحسان الملك لويس الثامن عشر فكافاك عليها بخمسمائة فرنك .

— لقد شجعنى ذلك على نظم ثلاث قصائد أخرى أرسلتها الى اكاديمية تولوز فأجازتنى عليها بأن عينتنى عضوا فيها ومنحتنى لقب أستاذ فى الشعر .

● ألم تطرق أبواب أخرى فى الأدب غير الشعر ؟

ـــ لقد طرقت باب القصة .. طرقت باب الصحافة فاسست مع اخي أبيل جريدة المحافظ الأدبي نشرت فيها قصائد عديدة ودراسات تاريخية وفلسفية كما افردت فصولا للنقد الأدبى .. كانت هذه الجريدة فرصة لتنمية ملكتى الأدبية وتعرفى على الكثير من الشعراء والكتاب وتوطد الصداقة بينى وبين الكثير منهم مثل لامرتين وفينيى وديشان ولامنيه .. ولما انشئت جمعية الآداب الجميلة انضممت اليها وظفرت قصائدى باعجاب الأعضاء .. لقد كان عمرى حينذاك تسع عشر عاما .

● كيف تزوجت « أديل فوشيه » ؟

ـــ ونحن اطفال كانت امها تصطحبها عند زيارتها لنا وكانت تنزل معنا الى حديقة المنزل نقطف مناقيد العنب ونقضى الأوقات السعيدة . عندما رحلنا الى اسبانيا تركت أديل طفلة فلما عدت وجدتها شابة وسيمة وجذابه ووجدت نفسى سعيدا بالقرب منها واشعر بالزهو كلما اتكأت على ذراعى ونحن نتنزه فى الحديقة وسط الأشجار . وعندما شعرت اسرتينا بتلك العاطفة الجياشة حاولتا التفريق بيننا لصغر سننا . وكان وقع الفراق أليما علينا غير أننا تعاهدنا على ان نظلا مخلصين مهما طالت الأيام . لقد انتعشت بالأمل ولم أدع اليأس يتملك منى .. بالرغم من الظروف التى أحاطت بى خلال تلك الفترة .. فقد توفيت والدتى وكانت صدمة شديدة لى .. أبى سرعان ما تزوج بعشيقته وساءت علاقته بنا فلم يرضه أن نحترفا الأدب ونعدل عن دراسة الهندسة التى كان يعدنا لها وحرمنا ما كان يمنحنا أياه من مال . لقد ذقت مرارة الفقر عاما كاملا غير أننى وطدت العزم على النجاح .. وتقدمت بشجاعة الى مسيو فوشيه .

● تطلب منه بد اديل . ولما كان والدها يؤمن بالواقع ولا يعد بالوعود فرفض طلب زواجك من ابنته وكادت تضعف ثقتك بنفسك وبمستقبلك .

— غير ان شيطان الحب قد اوحى الى ان اتحد من الكتابة اليها سلوى لنفسي ووسيله لتهدئه نوبتي العلبيه فاحدث اراسلها سارحا لها ولعي وغرامي .

● مهلا .. فقد انتقل الأب فوسيه وابنته الى (بلوا) التي تبعد عن باريس حوالى الثمانين كيلو متر مما ادى الى تعذر مراسلتها بانتظام .

— لم أجد أمامي الا جريدتي المحافظ الأدبي .. فاحدث اكتب فيها مقالاتي الغراميه الطويله ثم روايتي « هان ديزلاند » التي جعلها صوره حيه وصعب فيها سيده حبي وغرامي وعذابي على لسان بطل روايتي ... لقد ادرت كتاباتي هذه في مسيو فوسيه الذي لمس صدق حبي لابنته وبعد أن عاد الى باريس سمح لي برؤيه أديل مره في الأسبوع والتحدث اليها في صحبته ووافق على زويجي اياها بشرط تحسن حالتي الماليه والحصول على موافقه والدي .

● من أين حصلت على المال ؟

— عام ١٨٢٢ أصدرت أول مجموعة شعريه (اغاني وقصائد مختلفه) طالبت فيها بتمجد أدوار الملكيه وتبجيل دعائم العرش والدفاع في تكريم كل ما يبعث مجد فرنسا القديم .. وخلق عصر جديد .. عصر حريه وسلام وعدالة . عثر على كتابي هذا قارىء الملك لويس الثامن عشر في مكتبة باريس ولما كان

الملك مغرما بالشعر فقدمه اليه وما كادت القصائد تتلى حتى اعجب بها وخاصة قصيدتى (وفاة الدوق دى بارى) التى كان يقرؤها كثيرا على حاشيته .. وتقديرا لى ولقصائدى منحت معاشا سنويا قدره الف فرنك .

● **وبالمعاش تحقق لك اول شرط فرضه والد حبيبتك ليزوجك اياها .**

— واستأذنت والدى الجنرال وسرعان ما وصلنى موافقته .. وتزوجت أديل فوشيه فى ١٤ أكتوبر ١٨٢٣ فى حفل بهيج ضم أفراد الأسرة .

● **هل حقا كان حفل زواجك بهيجا ؟**

— الحقيقة المؤسفة ... ونحن فى نشوة السرور والفرح اذ بأخى (أوجين) تنتابه نوبة عصبية أودت بعقله وكان سببها حبه الذى كان يخفيه لأديل والذى كتمه فى نفسه احتراما لى .. لقد حزنت وتألمت كثيرا وأدخلته مستشفى شارنتون أملا فى الشفاء الا انه مات عام ١٨٣٧ .

● **مسيو هوجو .. هل كان لديك ندوات شعرية مع الأدباء الشبان ؟**

— لقد كنا نجتمع فى أيام الأحد عند (شارل نوربيه) نتباحث فى الأدب والشعر حتى انهم أطلقوا على هذه الندوات اسم (المجمع) ، وكنا نعقدها فى الشتاء حول البيان ويتخلل حديثنا عزف بعض المقطوعات وفى الصيف كنا نعقدها فى الحدائق.

● من كان يحضر هذه الندوات الأدبية ؟

— الروائي العظيم اسكندر دوماس والموسيقار لست والشاعر الفريد دي موسيه والناقد سانت بيف .

● هل لأدبنا الكبير أن يحدثنا عن علاقته بالناقد سانت بيف ؟

— كان من أقرب أصدقائي فقد ناصرني بقلمه في سنوات جهادي الأولى المملوءة بالنضال والانتصارات الأدبية وانزلته في نفسي منزلة ممتازة رغم قبح منظره وخبث أخلاقه فقد كنت أدعوه دائما لزيارتي ونجلس ومعنا زوجتي أدل التي كانت تحضر الكثير من اجتماعاتنا .. ومع الأيام كثر تردد سانت بيف على منزلي في غيابي وكانت هذه الزيارات بعد الظهر ما بين الثالثة والخامسة حين كنت أخرج للتريض في حدائق باريس . كان (بيف) يحضر فيجد أدل في حديقة المنزل تلهو مع أولادها فيجالسها ويشكو اليها طفولته التعسة ووحدته وشقاءه فتغلب أدل الشفقة عليه ومازال بها حتى استدر عطفها عليه فراحت تكثر من دعوته محاولة التخفيف عنه بحديثها معتقدة أنها تؤدي له خدمة انسانية ولم تكن تدري حقيقة نواياه . ولم أتصور أن علاقة زوجتي العميقة الطاهرة بهذا الشاعر القبيح المنظر تجاوز ما تقتضيه الصداقة من مجاملة وتتلاقى الى العشق والوله .

● كيف تحققت من ذلك ؟

— عندما طلب اليه الا يجيء الى منزلي في غيابي فكانت صدمة له الا انه تغلب عليها بدعوة زوجتي لمقابلته جلسة في كنيسة مجاورة لمنزلي ومع الأسف فعلت . وشعرت بتحول كبير

من اديل نحوى فقوى الشك لدى واخذت الغيرة تلدعنى على مدى ثلاثة اعوام تعرفت خلالها بالممثلة الشابة (جوليت دروبيه) التى اسندت اليها دور الأميرة فى مسرحيتى (لوكريس بورجيا) وتطورت علاقتى بها .

● **ذلك التطور الذى دفع زوجتك اديل تتالم كثيرا وتكتم الهما هذا اذ لم تكف يوما عن حبك وظلت تفاخر بشهرتك وتبدو فى كل ناد محبة وفية لك واسعة الصدر تدرك ان لكل رجل عظيم ميوله وضعفه .**

— المهم حاول سانت بيف استغلال علاقتى بجوليت كى يصل الى مبتغاه من زوجتى بأن تخوننى فاكثر من التردد عليها وحاول الترفيه عنها بمواساتها ولم ينس فى كل زيارة ان يلومنى على خيانتى لها ويهول فى ذلك امامها حتى انه انتقد مجموعتى الشعرية (الأشعة والظلال) حين نشرتها نقدا مرا وذمنى ذما لاذعا لجمعى — على حد قوله — بين زوجتى وعشيقتى فى قصائد المجموعة . لقد كان يعتقد انه بنقده وذمه لى سوف يكسب قلب أديل ولكن كان العكس صحيح اذ تكشفت لها نفسه عما بها من خسة وحقارة لم ما لبث ان دب الشقاق بينهما . وكتبت اليه بقطع كل علاقة بينى وبينه والا تردد على منزلى . وذات يوم وجدته فى دارى فثرت عليه وقذفت به الى الشارع وكانت هذه آخر العلاقات الشخصية بين سانت بيف وبينى وزوجتى .

● **لقد سافر بعد هذه الاهانة الى لوزان بسويسرا والتحق بجامعتها وقام بالتدريس فيها .. غير انه تقدم للترشيح لعضوية الاكاديمية التى كنت انت رئيسها وكان لك موقفا نبيلا معه حينذاك تحدثت عنه كل الأوساط الأدبية .**

— بالرغم من أن العلاقات بيننا قد قطعت منذ زمن طويل

وانه لم يبد اى محـاولة لوصلها .. فقد فرقت ابنتى فلم يعزنى بكلمة مع إن (لامرتين) كتب الى يقول « حاول أن تدخل عبر هذا الجرح العريض » . ولم يكف سانت بيف ذلك بل برهن على صغر نفسه وقلة ذوقه بأن نشر بعد قليل من وفـاة ابنتى مجموعة شعرية تشتمل على قصائد عاطفية يروى فيها حبه لأديل حتـا اكثرها بالأكاذيب فكان لنشرها فى نفس زوجتى أسـوأ الأثر اذ أخذت السنة الناس تلوك عرضها .. ومع كل هـذا عندما جاءنى سانت بيف يرشح نفسه لمضـوية الأكاديمية قابلته مقابلة لبيق بأى عضـو فى الأكاديمية وقد كان بوسعى أن ارفض قبوله ولكنى لم افعل رغم مواقفه . ولمـا القيت خطاب الترحيب به اثنيت عليه ثناء كبيرا .

● **مسيو هوجو .. وان كنا لا نريد الدخول فى تفاصـيل ما قدمته الحركة الرومانتيكية وما اتجهت اليه من تجديد فى الفكر واتخذك انصـارها رائـدا لها فوضعت لها برنامجـا وحـددت اتجاهاتهـا .. وبالرغـم من تطبيقـك لمـا نادت بـه المدرسـة الرومانتيكية فى مسرحيتك كرومبل وامى دوبار فالأولى لم تمثل على المسرح والثانية لم تصادف نجاحا .. اليس كذلك ؟**

ـــ هذا حق .. لقد نالت كثيرا ومع ذلك فان فشلى هذا دفعنى لكتابة مجموعة اشعارى التى اسميتها الشرقيـات والتى حققت نجاحا عظيما .

● **لقد قيل عند نشرك مجموعتك هـذه انك كشـفت عن ناحية غير مألوفة فى الشعر الفرنسى الا وهى كتابة القصـائد عن الشرق وسحره .. ويدفعنى ذلك لأن استفسر منك كيف امكنك ان تنظم قصائدك فى الشرق وتسهب فى شرح سحره رغم انك لم تزر الشرق ولم تراه .**

— لقد استعنت بتلك المناظر التى شاهدتها فى اسبانيا اثناء سفرى اليها وبذكرياتى من كتاب الف ليلة وليلة الذى افرمت بقراءته فى صباى ومشاهداتى لبعض اللوحات الشرقية التى عرضها صديقى الرسام (ديلاكروا كلومة) ومنها مذبحة كيبوس . وقراءتى لكتاب دليل السفر من باريس الى أورشليم لشاتوريان . . وكتاب الأغانى الشعبية لليونان الحديثة لفوريال وما كتبه المستشرق ارنست فونيبه من خفايا الشرق ومجموعة الأغانى الأسبانية (الروفسيرو) التى شرحها لى اخى ابيل وصديقى (أميل ديشان) .. من كل هذه القراءات تعرفت على الشرق وبلاد العرب واليونان والبلاد الخاضعة لسيطرة الاتراك فامكننى ان أصور ذلك تصويرا صادقا قويا جذابا فى شعرى .

● لقد صورت الحريم والقصور الشرقية ووصفت الحكام الشرقيين وما اشتملت عليه حياتهم من حوادث الغرام والاستمتاع بالحياة والاستغراق فى اللذات الحسية بجانب حوادث القتل والعنف .. لقد لمسنا سمو شعرك فى قصيدتك (ضوء القمر) وروعته وجماله فى قصيدتك عن مصر .. اما قصائدك عن اليونان فقد كانت من الروعة حتى كان تاثيرها عظيما فى نفوس معاصريك .. فقد خدمت بقلمك وقصائدك الحماسة اليونانية . ولا ننسى لك قصيدتك التى شبهت فيها اليونان فى ذلك الوقت بطفل شريد تائه يطلب المونة ليواصل قتاله .. لقد اسميتها الطفل ..

بالطبع يا مسيو هوجو يعوزنا الوقت كى نلقى الضوء على مؤلفاتك واشعارك ولكن هل يمكن ان نسالك ما الذى كان يميز شعرك ؟

— لقد نشرت اربعة مجموعات خلال الفترة ما بين ١٨٣٠

و ١٨٤٠ بعد أن هجرت الكتابة الى المسرح بعد فشل بمسل مسرحيه الرحراف . ففى (أوراق الخريف) أظهرت فيها ما كنت أسعر به من سعاده الحياه الأسريه وعدوبتها وما كانت تبعثه من ذكريات قديمه لذيذة كما كتبت قصائد حتت فيها الأغنياء على الرحمه والرحمه بالفقراء . لقد كانت المجموعه مربح من الآلام والآمال .. عن الغرور والطموح . أما فى (أغانى الغسق) فقد حوت بعض ما أكنه من محبة لزوجتى وعواطف ملتهبه نحو محبوبتى الحديثه جوليت . لقد حوت أيضا قصائد مجدت بها نابليون وعبرت عما أحسه وأسعر به من حب للنسر العظيم .. أما فى (المأساة الفلسفيه) فقد كان أهمها القصيدة التى تحدثت فيها ذكرى والدى ومآثره .. أما فى (الأشعة والظلال) فقد أختصصت بها والدتى وسعورى نحوها بالحب ومثلى الى ذكراهـا .

● نحن لا ننكر امتياز مجموعات شعراء الأربعة بجزالة الشعر ورصانته ورقته كما امتازت بجمال الأسلوب وعذوبة اللفظ وعظمة الخيال .. لذلك نرجو أن تقدم نصيحة لشعراء جيلنا .

— يا عزيزى رسالة الشعر ليست النظم والغناء فحسب بل عليه أن يحث على العدالة ويدافع عن الحق ولو أدى به الأمر أن ينس الحب والأسرة وعليه أن يثير الحماسة فى النفوس ويخوض مبادئ السياسة ويعنى بالأمور الخلقية والاجتماعية .

● شاعرنا العظيم هوجو .. يقولون أن حياة الأديب الخاصة ملك له ومع ذلك حين نجد الصداقة بين أدبنا فكتور هوجو والممثلة (جولييت دروبيه) تمتد الى ما يزيد عن خمسين عاما فليس هناك من هو أقدر منك على القاء الضوء على هذا الحب العظيم .

— جوليت حبيبة الروح والقلب .

● كيف بدأت قصة حبك مع جوليت ؟ ..

— حين مثلت مسرحيتي (لوكريس بورجيا) اسند دور الأميرة (نجروني) الى ممثلة شابة قبلته على صغره .. كانت هذه الممثلة هي جوليت في السابعة والعشرين من عمرها بارعة الجمال ذات شعر فاحم لامع وجسد رشيق متزن .. لم تكن حياتها خالية من المآسي الغرامية حيث تهافت عليها ذوي الجاه والثراء وكان أحدهم الأمير داميبدوف . ولما رأتني جوليت على المسرح في أثناء التمرينات تمنت أن تكون خليلة لي . أما أنا وكانت نظرتي اليها أول الأمر نظرة عابرة سرعان ما تحولت الى عاطفة حب أذكاها اهتمامها بشأني في الوقت الذي تكشت فيه علاقة زوجتي بسانت بيف . ما أن انتهت التمرينات وبدأ تمثيل الرواية حتى كان التقارب قد ازداد وبدأنا نخرج للتنزه في الحدائق او تناول الطعام في الريف وكثر تغيبي عن منزلي بحجة ان الحياة المسرحية وضرورة اشرافي عليها بنفسي يضطراني الى هذا التغيب . لقد أحببت جوليت ونظمت فيها قصائد كثيرة أودعتها كل مكنونات قلبي . لقد ظلت حياتنا الشهودة علانية للهوى والشباب لم يكن ينغص حياتي معها سوى غيرة العمياء علينا وامتعاضي من حياتها المسرحية وذكرى ماضيها . مصارحتها بذلك فتركت التمثيل وقطعت علاقاتها بأصدقائها جميعا . وانقطعت الى ووهبتني نفسها وحياتها فزاد تقديري لها . مع الأيام اعتادت نمط حياتي وكانت تساعدني مساعدة فعالة في عملي . كنت أقضي عندها فترات طويلة في الكتابة على مكتب أعدته خصيصا لي كما كانت تنقل لي مسودات وتجمع لي الصحف والمجلات والمقالات التي تتحدث عني . لقد تفانت معي . لقد سافرنا معا الى (وادي بييفر) وقضينا بضعة أيام كانت أسعد أيام حياتنا بين الريف

البديع وأشجار الغابة وكنيسة الوادى الأثرية التى كثيرا ما ابتهلنا داخلها الى الرب ليديم حبنا . لقد كانت جوليت مصدر الهامى فكتبت مجموعتى اغانى الغسق والأشعة والظلال .. لقد سافرت معها الى شرق فرنسا والى المانيا عام ١٨٤٢ . لقد سافرت معها الى اسبانيا عام ١٨٤٣ فى رحلة استغرقت ثلاث اسابيع استمدت فيها ذكريات طفولتى وما أن وصلت (ردشفور) حتى قررت أن اقضى فى زيارتها أياما أشاهد فيها السجن والميناء ومبنى الفن .. وبينما أنا جالس فى احدى المقاهى اتصفح جريدة وقع بصرى على خبر ابنتى الكبرى (ليوبولدين) وزوجها (شارل فاكرى) غرقا وهما فى نزهة على نهر السين .. لقد قررنا مواصلة السفر الى باريس .. لقد خففت من أحزانى كثيرا .

● الم تغضب منك جوليت يوما .. او بالأحرى الم تحاول قطع علاقتها بك .

ـــ عندما اكلت الغيرة قلب (مدام بيار) وزين لها شيطان الغرام أن تستأثر بى وحدها أرسلت الخطابات التى كنت اكتبها لها الى جوليت وافهمتها موقفى منها وطلبت اليها أن تبتعد عنى وتفسح لها المجال فثارت جوليت وخيرتنى بينها وبين عشيقتى الثانية ـ على حد قولها ـ فلم أتردد واخترتها هى وقطعت كل علاقة بمدام بيار .

● ولما كان حديثنا للتاريخ يا مسيو هوجو .. فلابد لنا ان نذكر ان مدام بيار كانت زوجة للرسام الفرنسى ودعتك الى حضور حفلة تنكرية راقصة فى حديقة دارها ولبيت الدعوة ورقصت معها وشعرت نحوها بميل شديد ووصفت حفلتها فى قصيدتك الجميلة (حفلة عند تريزا) .

ـــ وظللت عقب هذه الحفلة دائم الاتصال بمدام بيار

فبادلتني هي ايضا حبا بحب وتطورت بيننا العلاقات الى ان افضى بنا الأمر الى التلاقي سرا في منزل بشارع سان روك واخذنا نتردد عليه .

● وعرف الزوج بتلك العلاقة المريبة بينكما وترقبكما حتى فاجاكما ذات ليلة ومعه وكيل الشرطة واقتحم باب المنزل بينما كنتما في نشوة غرامكما فقبض وكيل الشرطة على مدام بيار واودعها سجن (سان لازار) ولكنه لم ينل منك شيئا لتمتعك بالحصانة النيابية .

— ولما صمم الزوج ان يرفع الأمر الى المجلس النيابي ليحاكمني فلم يرض الملك بذلك واستدعى الرسام بيار وابتاع منه لوحة من ماله الخاص وطلب اليه التنازل عن حقه قبلي فاذعن الرسام طوعا لرغبة الملك .

● اما مدام بيار فبعد ان قضت مدة سجنها وافرج عنها طلبت الطلاق من زوجها وظلت خليلتك .

— لمدة ثلاثة اعوام بالاشتراك مع جوليت دروبيه .

● أليس هناك نساء اخريات في حياتك ؟

— تقصد الأميرة هيلانة (دوقة اوليان) .. انها اشاعة اطلقها الحاقدون حينما قدمني الملك لويس فيليب اليها في الحفل التي اقامتها بمناسبة افتتاح قصر فرساي فقالت لي انها سعيدة بمعرفتي وانها كانت ترغب في التعرف علي وقد تحدثت كثيرا مني مع (جوته) وقرأت جميع مؤلفاتي وحفظت الكثير من اشعاري . كل ما اظهرته الدوقة كان اعجابها بي . وظللت مقدرا هذا الاعجاب باقيا على اخلاصي ووفائي لها رغم ما حدث من الانقلابات

السياسية وما اعقبها من نفيى وكرهى لجميع الأسرة المالكة . لقد تناثرت الشائعات . وخاصة كانت الأميرة هيلانه من المتوقع أن تتوج ملكة على فرنسا وكان ضمن خطة سياستها التى وضعتها تأليف وزارتها المستقبلة واختيارها جميع وزرائها من بين الكتاب والشعراء حتى انها رشحتنى للرياسة ووزارة الحربية . هذه هى الحقيقة فيما اشيع عن غرامى بالأميرة هيلانة .

● ان حديثنا عن مدام بيار والأميرة هيلانة قد ابعدنا عن تكملة قصة غرامك مع جوليت دروبيه .

ـــ عندما نفيت خارج فرنسا اقمت ثلاث سنوات فى جزيرة (جرس) لم اكد استقر حتى أرسلت فى طلب زوجتى وأولادى وسرعان ما لحقت بى جوليت . واتخذت لها مسكنا بالقرب منى وكنت اتردد اليه كل مساء فاكتب فى غرفتها أو اجتمع فيه مع باقى المهاجرين الفرنسيين . وكثيرا ما كنت اخرج بصحبتها للتنزه فى الحقول أو على شاطىء المحيط . وعندما أمرت بمغادرة الجزيرة وابحرت الى جزيرة (جرنس) فى عام ١٨٥٥ اخذت زوجتى واولادى وجوليت معنا وسكنت منزلا قريبا من (هونفيل هوس) الذى اشتريته . ومن ذلك المنزل كانت ترقبنى فى شرفتى امام لوحتى وفى اوقات فراغها كانت تفلح أرض حديقتها وتجمع الورد أو تصنع الفطائر وترسلها لى . وكانت تقابلنى بعد الفطور للتنزه معى قليلا على الشاطىء ثم نعود انا الى عملى وهى الى منزلها حيث تنسخ لى الصفحات التى اكون قد كتبتها فى الصباح وتنتظرنى الى أن اعود اليها ومعى أولادى أحيانا . وكثيرا ما جلست معهم على مائدتها لتناول الطعام . لقد قضينا زهاء ١٥ عاما اعجزتها فيها الهموم والأحزان والقلق والحب فهرمت قبل أوانها . ولما عدت الى باريس كانت جوليت تقيم معى فى منزلى الجديد بشارع (ايلو) لقد كنت فى الثالثة والسبعين من

عمرى . احاطتنى بحنانها وحبها العميق وشـهدت معى الاحتفال العظيم الذى قامت به فرنسا تحية لى يوم ٢٦ فبراير ١٨٨٢ لبلوغى الثمانين . كم كانت عظيمـة وفية مخلصة لى طوال هذه السنين حتى اصيبت فى آخر ايامها بمرض السرطان الخبيث الذى اخذ يضنيها شيئا فشيئا فاحتملت آلامه الشـديدة بعزيمـة جبارة حتى لا تؤلمنى .. لقد كان اشد ما كان يعذبها خوفها أن تموت وتتركنى وحيدا فى هذه الحياة . ولكن عذابها لم يطل فقد وافاها أجلها المحتوم فى ٢١ مايو ١٨٨٣ عن سبعة وسبعين عاما .

● **ما مدى حزنك عليهـا ؟**

ـــ كان موتها خسارة لا تعوض . فقد كانت بهجة شـبابى وكاتمة أسرارى ودعامة شيخوختى ورفيقة حيـاتى المخلصة . لقد بكيتها كثيرا وحزنت عليها شديدا وفارقنى بموتها نشـاطى فكففت عن الكتـابة والتـاليف وزادت كآبتى وبـدات قوتى فى الاضـمحلال فلزمت منزلى واعتكفت فيه حتى أصبت بالتهاب رئوى وشعرت بأن منيتى اوشكت أن تحين فودعت أصـدقائى قائلا : ها هنا جهاد الليل والنهار .

● **ثم طلبت حفيـديك وضممتهما الى صـدرك تقبلهمـا وتبكى . لقد قلت لهما « اقتربا منى يا ولدى .. كونا سعيدين .. فكرا فى .. واقيما على حبى يا عزيزى » .**

ـــ هذا ما حدث فعلا قبل أن أسلم الروح فى يوم الجمعة.

● **مهلا يا مسيو هوجو .. هل استلذنك فى ان تلقى الضوء على عاداتك وحياتك ؟**

ـــ كان لى قدرة عجيبة على التاليف تجعلنى اقف امـام

منضدتى كل صباح .فاكتب ما لا يقل عن مائة بيت من الشعر او عددا غير قليل من الصفحات النثرية هذا الى جانب عدد من الرسائل . ومع افراطى فى العمل ودغم تجاوزى السبعين كنت قويا نشيطا لم اشعر يوما بالتعب بل قد تدهش اذا قلت لك اننى لم اعرف المرض فى حياتى الطويلة اذا استثنينا مرضى بالالتهاب الجلدى عام ١٨٥٧ وتعب اعصابى عام ١٨٧٨ .. بل لم انقطع فى سنى هذه يوما عن نزهاتى الطويلة مشيا على الأقدام او ركوبا فى المركبات المكشوفة غير مبال بالبرد يلفح وجهى او المطر يتساقط على . لقد بقيت حتى اواخر ايامى ذا شهوة غريبة للطعام فكنت اخلط البيض باللحوم والخضروات والطيور والبطاطس واجعلها جميعا فى صحفة واحدة واقطعها قطعا صغيرة بالسكين وآكلها متلذذا اقضمها باسنانى الفولاذية .. لقد التهمت الكثير من حبات البرتقال واكلتها مع قشرها وسط دهشة احفادى وابتساماتى .

● **مسيو فكتور هوجو .. لماذا نفيت من فرنسا وقد كنت اديبها المرموق صديق الملوك وحبيب الشعب .**

ـــ كان ذلك عام ١٨٥١ حيث اعد لويس بونابرت العدة لقلب نظام الحكم الجمهورى والرجوع بفرنسا الى الحكم الأمبراطورى . لقد هجرته وحاولت بكل قواى اثارة الراى العام ضد آرائه ومشاريعه متمسكا بالجمهورية الا انه بمساعدة اعوانه تم الانقلاب واصبحت فرنسا امبراطورية .. وبالطبع كنت اول قائمة المحكوم عليهم بالنفى . ومع ذلك كونت جمعية فى باريس تحث على عدم الاعتراف بحكومة لويس بونابرت وحقوقه واتهمناه بالخيانة والخروج على القانون كل ذلك كى تحدث ثورة لاعادة الجمهورية غير أن الحركة فشلت وطالب الامبراطور باعدامى فاضطررت للهرب من باريس ولجأت الى بلجيكا .

● **حيث كتبت روايتك نابليون الصغير عام ١٨٥٢ . هجوت فيها الامبراطور ذلك الهجاء الذى احدث ضجة فى بلجيكا واستاء شعبها وحمل حكومته على ان يسن قانونا بمحاكمة من يتعمد السب فى رؤساء الدول الأجنبية . فلم تنتظر وغادرت بلجيكا الى لندن التى لم يرقك كثرة ضبابها وشدة ظلامها فغادرتها لتستقر فى جزيرة (جرس) .**

ـــ التى اقمت بها ثلاث سنوات حيث اسست جريدة سياسية اشتركت فى تحريرها بمقالات عدائية على الامبراطور وهجوت ملكة انجلترا لأنها استقبلت امبراطور فرنسا غير أن اهالى الجزيرة ثاروا وكادوا يفتكوا بالمحررين وامرت بمغادرة الجزيرة فى بحر ثمانية ايام .

● **وتوجهت الى جزيرة (جرنس) فى ٣١ أكتوبر ١٨٥٥ حيث قضيت فى الجزيرة ١٥ سنة كتبت فيها (التاملات) حيث نال نجاحا وشهرة وجاءك بثروة اتاحت لك شراء منزل كبير تفننت فى تاثيثه وجمعت فيه كثيرا من التحف النادرة واسميته (هو نوفيل هاوس) .**

ـــ لقد كانت حياتى فى جزيرة جرنس خليطا من الحوادث المؤلمة والسعيدة فقد مرضت بمرض جلدى دعانى للتخلى عن عملى ثلاثة شهور .. ابنتى اديل الجميلة احبت ضابطا انجليزيا وآثرت الهرب معه الى كندا عام ١٨٦٣ ولكنه هجرها وتركها وحيدة هناك مما افقدها عقلها وارسلت أخاها (فرنسوا) واحضرها وعاشت التعسة مجنونة حتى وفاتها .. زوجتى اديل فوشيه مرضت وذهبت الى بلجيكا حيث عاشت مع ابننا (شارل) الذى تزوج هناك ولم تلبث أن فقدت بصرها وماتت بعد قليل بين ذراعى حين هرعت الى بؤيتها عام ١٨٦٨ .

● **مسيو هوجو من المؤكد ان النفي قد رفع من قدرك واصبحت الى جانب سيطرتك من الناحية الأدبية بطلا من ابطال السياسة فهل هذا حق ؟**

— الى حد ما .. لقد حاولت أن أكون رمزا للحرية والاصلاح الاجتماعى والتقدم والرقى والثورة على الطغيان .. لقد بدأت عام ١٨٥٩ أن اظهر نشاطا سياسيا عالميا .. لقد بذلت نصائحى ووصاياى ليس لفرنسا فحسب ولكن للأمم والشعوب . لقد حرضت الايطاليين على توحيد صفوفهم وعلى الثورة لنيل الحرية . لقد ناشدت الولايات المتحدة أن تعفو عن (جون براون) لقد حرضت المكسيك على الصمود فى حربها ضد نابليون الثالث حتى النهاية . لقد وجهت نظر انجلترا الى سوء معاملتها ايرلندا ونصحتها بتوخى الحق ومراعاته لقد لمت جميع ملوك اوروبا ورؤساء حكوماتها لتخليهم عن مساعدة (كريت) . لقد ارسلت الى (جنيف) بمقالات طويلة احث فيها على الغاء عقوبة الاعدام . وعلى العموم لقد طرقت كافة مجالات النشاط الفكرى والأدبى والاجتماعى والسياسى والحمد لله كنت موضع التقدير والتعظيم والاجلال .

● **ما هى (حكايتك) مع مناجاة الأرواح وتحضيرها ؟**

— فى احدى زيارات مدام (دى جيرار دان) لجزيرة جرس زارتنى فى دارى ودار النقاش حول موضوع الأرواح وكى اقضى وقتا للتسلية سمحت لها ان تقوم باجراء تجربة أمامى فاحضرت منضدة مستديرة وجلست وبجوارها شارل واديل ووضعوا ايديهم عليها واخذوا يناجون روح (ليوبولدين) ابنتى التى غرقت منذ اكثر من عشر سنوات . فتخلخلت المنضدة واهتزت وحضرت روح ليوبولدين تحدثنا بتفاصيل حادثة غرقها وكانت التفاصيل

دقيقة بحيث أبكتنا جميعا . ومن هنا آمنت بالأرواح وتعلمت من مدام دى جيرار طريقة استحضار الأرواح .

● **من من الشخصيات استحضرت أرواحها ؟**

ـــ فولتير .. دانتى .. راسين .. شكسبير .. افلاطون .. اشيل .. اندريه شانييه . لقد كانت أرواحهم تتحدث بالشعر والغريب أن أشعار هؤلاء كانت تشبه أشعارى تماما وان نظرياتهم الفلسفية هى نظرياتى بعينها .. ولم اكن أدهش لزيارة كل هذه الأرواح لى لأننى كنت اعتقد اننى اعرف اسرار الطبيعة وادرك خفايا الكون .

● **الواقع ان تحضير الأرواح لم يكن فى الواقع الا عملية نقل الأفكار وتبادلها فوسيطك كان ابنك شارل وهو حساس يتلقى افكارك بسهولة ويعبر عنها تحت تأثيرك شعرا فتراها مطابقة لما كنت تتوقع وهذا ما خدعك .**

ـــ قد يكون ولكن المهم لقد كان اثر تحضير الأرواح فى وفى ولدى سيئا للغاية فتملكتنا اوهام رؤية الأشباح ليلا أو سماع طوافها وحديثها حتى أنها انعكست على قصائدى التى نشرتها فى مجموعة التأملات .

● **مسيو هوجو .. ماذا عن روايتك البؤساء ؟**

ـــ لقد بدأت التفكير فى تأليفها عام ١٨٢٣ وباحثت الناشر فى موضوعها عام ١٨٣٠ وعدت اليها عام ١٨٤٥ وكتبت منها جزءا كبيرا وكدت انتهى منها لولا ثورة ١٨٤٨ التى ارغمتنى على التوقف عن اتمامها فترة طويلة الى أن كان عام ١٨٦٠ . وقد رايت أن

نفى سيطول فانكببت على الكتابة من جديد . وكانت افكارى قد تغيرت وتطورت نتيجة تجاربى السياسية والحوادث الاجتماعية التى طرأت على نظام فرنسا . لقد أحدثت تغييرا بينا فى أوضاعها وتوسعت فى أبوابها فاصبحت خمسة اجزاء وكان عنوانها البؤس فاصبح البؤساء .

● هل لك ان تعطينا وصفا لاحتفالات باريس بك عندما بلغت سن الثمانين ؟

ـــ كان ذلك على التحديد يوم ٢٦ فبراير ١٨٨٢ فقد أقيم قوس النصر فى شارع (ايليو) وقام شعب باريس باستعراض تحت نوافذ بيتى وأرسلت المدن والمقاطعات وفودها العديدة وكذلك حضر رئيس مجلس الوزراء (جول فيرى) مع حكومته لتحيتى ووقفت فى النافذة المفتوحة مع حفيدى جورج وجان غير عابىء ببرد الشتاء القارس لأرى طوال النهار مرور موكب المعجبين الذين بلغوا ستمئة الف نسمة . وقامت على الرصيف اكوام الزهور وارتفعت كالتلال ـــ كم كنت سعيدا لأن الأقدار قد أرادت أن تمحو بعض الذى أصابنى من الألم خلال اغترابى تسعة عشر عاما كانت أعواما مرهقة لى غبت فيها عن وطنى الذى تغنيت فيه بروائع خالدات من شعرى فجاء هذا اليوم يؤكد عرفان فرنسا بالجميل . وتعويضا عما لحقنى من غصص الاغتراب . لقد كانت لفتة كريمة أن سموا شارع (ايليو) باسمى وعندما دخلت مجلس الشيوخ وقف أعضاؤه جميعا واكتفى رئيس المجلس (ليون سى) بأن قال لقد حضر العبقرى الجلسة . وحيانى المجلس بالتصفيق . هذا ما رأته عيناى فى حياتى ولكن لا أدرى ماذا حدث بعد وفاتى فى يوم الجمعة ٢٢ مايو ١٨٨٥ .

● لقد قرر مجلس بلدية باريس أن تدفن فى (البانتيون)

كما قررت الحكومة الاحتفال رسميا بتشييع جنازتك وان يعرض جثمانك تحت قوس النصر لتحييك الجماهير فشيدت منصة كبيرة وضع عليها تابوتك الضخم وزين القوس وكسى بالحرير الأسود وقد كتب عليه عناوين مؤلفاتك وكانت الاعلام السود المزينة بالنجوم الفضية ترفرف على جوانبه . واضيئت حول القوس مائتا شعلة ليلا ونهارا وقام بالحراسة فريقان من الفرسان المدرعين وتوالى مرور الجماهير أمام القوس لتحيتك طوال النهار والليل . فى اول يونيو دوت احدى وعشرين طلقة معلنة بدء الاحتفال بتشييع الجنازة .

— كل هذا ولم تشيع جنازتى بعد .

● لقد حضر ممثلو الحكومة والهيئات المختلفة وممثلو الدول الأجنبية وبدأ الخطباء يتناوبون تابينك فالقى كل من رؤساء مجلس الشيوخ والنواب وبلدية باريس ومجلس السين العام ووزير المعارف وممثل الأكاديمية الفرنسية كلمة بليغة عنك ، وفى منتصف الساعة الثانية وضع جثمانك على العربة المخصصة للموتى الفقراء .

— كما طلبت فى وصيتى .

● فكان تناقضا عجيبا ان تسير امام هذا الموكب الهائل تلك العربة المتواضعة وخلفها اعلام الدولة وعظماؤها وممثلو الدول الأجنبية ومحافظ باريس وكتيبة من الحرس والاى من الفرسان واحدى عشرة مركبة يجر كل منها ستة جياد تحمل اكاليل الزهور . ومر الموكب بشارع الشانزليزيه وميدان الكونكورد فشارع سان جرمان وشارع سان ميشيل وشارع سوفلو . وكانت الجماهير التى تجاوز عددها المليون نسمة مجتمعة على الأرصفة

وعلى اسطح المنازل وشرفاتها ونوافـذها تنتظر مرور الموكب الذى كان مؤلفا من حوالى مائة الف شخص . وفى الساعة الثانية وصل النعش أمام البانتنون فانزل عن العربة ووضـع أمام الباب الى أن مر الموكب بأجمعه من أمامك يحييك التحية الأخيرة وبعد ذلك وضعت فى قبرك لترقد رقدتك الأبدية .

— هل لى ان اسأل من كتب عنى بعد وفـاتى .. وماذا كتبوا ؟

● لقد كتب عنك كثيرون اذكر منهم اليوت م. جرانت١٩٤٦ وموروا ١٩٥٦ وجوانا ريتشارد سون ١٩٧٦ .. لقد كتبوا عن معرفتك بملوك فرنسا لويس الثامن عشر والملك شارل العـاشر والملك لويس فيلب ودوق اورليان ولويس بونابرت .. لقد كتبوا عنك باعتبارك احد رواد الحركة الرومانتيكيـة .. لقد كتبوا عن تقلبك بين الأحزاب وتعيينك عمدة لدائرتك بباريس .. كمـا لم يتجاهلوا عودتك من المنفى الى باريس عندما اندلعت الحرب بين فرنسا والمـانيا واستقبال اهلها لك وتوصيلهم اياك الى منزلك فى ساعتين وهم يتغنون بناشـيد المـارسليز وبعض اشعارك .. لقد قيموا كتاباتك ولم يتجـاهلوا ما نشرتـه من مؤلفات وخاصـة ما كان منها خلال العشرة سنوات الأخيرة مثل افعال واقوال .. السنة الرهيبة .. قصة جريمة والبابا والرحمة الكبرى ومجموعة اشعارك التى اسميتها (الحمـار) التى هجوت فيها العلم والعلماء وكتاب الديانه والديانات الذى اظهرت فيه فلسفتك الانسانيـة المملوءة بالوهم والخيال لقد تناولوا باسهاب علاقاتك الغراميـة وكذلك طموحاتك فى أن تكون وزيرا او رئيس جمهورية .. والكثير والكثير .. فقد كان يعوزنا الوقت لالقاء الضوء على كل حياتك التى امتدت الى ٨٣ عاما عاصرت فيها مختلف انواع الحكم فى

فرنسا .. وآثارك الأدبية التى تعد من أعظم آثار الأدب الفرنسى بل دعامة الأدب الحديث .

ونحن فى ختام اللقاء لابد ان نؤكد ان فرنسا قد فقدت بموتك شاعرا من اكبر شعرائها ومفكرا كانت له جولات وصولات فى حياتها الأدبية والسياسية والاجتماعية فتركت لها تراثا من آثارك مازالت فرنسا بل العالم اجمع يتداوله وسوف يتداوله على مر القرون ومدى الأجيال واذا كان لانجلترا ان تفخر بشكسبير ولايطاليا بدانتى .. وللمانيا بجوته .. وللاسبانيا بسرفانتيس .. ولروسيا ببوشكين .. فمن حق فرنسا أن تفخر بك .. بشاعرها العظيم .

(فكتور هوجو)

● جريدة أخبار دمياط .

العدد ١٤٤٢ بتاريخ ٨٣/٦/٢٠ ، ١٤٤٣ بتاريخ ٨٣/٧/٤ ، ١٤٤٤ بتاريخ ٨٣/٧/٢٥ ، ١٤٤٥ بتاريخ ٨٣/٨/٨ ، ١٤٤٧ بتاريخ ٨٣/٩/٥ .

بتهـــوفن

١٧٧٠ – ١٨٢٧

شاعر الأنغام والآلام

كانت أعصـــابه أوتارا تهتز بالنغم لـكل ما فى الحياة لم يجد فى غير العمل سبيلا للسعادة . اســم مشـــهور تسمع انغامه فى كافة أرجـــاء العالم وتدرس موســيقاه فى المعاهـــد وتعزف الحـــانه فى الأوبرات والمسارح وينقلهـــا الينا التليفزيون والاذاعـــة وتتراءى صـــوره وتماثيله فى المتاحف والمعارض ودور الفن وفى بيوت النـــاس من كل جنس .. ذلك هو الموسيقار « لودفيج فان بتهوفن » تعالوا بنا نتعرف على ذلك الفنان المبدع .

● **سألته عن مولده فاجاب :**

ـــ ولدت فى بون يوم ١٦ ديسمبر ١٧٧٠ لأب كان يحترف الموسيقى والغناء الدينى ، وأم ابنة رئيس طهاة أرملة فراش عندما تزوجها أبى كانت تعمل خادمة .

● **ماذا عن طفولتـك ؟**

ـــ نشأت طفلا بين اسرة رقيقة الحال . أبى أدمن الخمر وكان يقضى معظم أوقات فراغه فى الحانات فاذا عاد الى البيت عاد صاخبا مرعدا مهددا متوعدا متلافا لكل ما يصادفه فى طريقه من أدوات البيت ثم لا يجد بعد ذلك من يفرغ فيه حمم غضبه الا زوجه المسكينة وانـا ذلك الطفل الصغير .

● **متى بدأ استعدادك للموسيقى ؟**

ـــ وانـا لم أتجاوز الخامسة من عمرى بدأ والدى يلقننى أول درس فى البيانو لقد صمم أن يصنع منى عبقرية موسيقيـة خاصة بعد أن ضاقت به سبل الرزق . أخذنى بالشدة والغلاظة . لقننى العزف على البيانو تلقينا هو القسوة فى أجلى مظاهرها .

فاصبحت لا اكاد افارق تلك الآلة التى كنت أساق اليها قسرا . كان يدفعنى الى مزاولتها بالسوط والعصا معاملة لا حنان فيها وقسوة مجردة من الرحمة .

● حتى قيل ان انطباعات تلك الفترة اضفت عليك لونا لازمك طوال حياتك فشببت شاردا محبا للعزلة كتوما صموتا .. ولكن رغم كل الارهاق الذى عانيته فقد بلغت من المهارة فى العزف ما اثار الدهشة والاعجاب ، بل قيل انك بزغت اباك فى العزف وانت لم تتجاوز التاسعة من عمرك .

ـــ الحقيقة ان والدى اسند أمر تعليمى الى غيره من المعلمين الذين تتابعوا على الواحد بعد الآخر وكنت أفيد منهم بقدر ما تسمح به حالة كل منهم حتى أننى لم أقف فى دراستى عند تلقى العزف فقط بل تجاوزته الى تلقى دروس فى قواعد الموسيقى والهارمونى حتى استطعت وانا لم اتجاوز الثانية عشر من عمرى أن أؤلف الحانا موسيقية مبتكرة وانغاما جميلة مبتدعة . لما بلغت الثالثة عشرة من عمرى أخرجنى والدى من المدرسة وانا لم اتجاوز مرحلة التعليم الالزامى . ومنذ ذلك الحين تتابع انتاجى الموسيقى حتى بلغ منزلة رفيعة وأصبحت رغم حداثة سنى لا أجارى فالحقت موسيقيا ببلاط مدينة بون .

● الذى احاطك برعايته لعبقريتك وبعث بك الى فينا « مملكة الموسيقى » حيث يقيم فيها العالمان الموسيقيان « هايدن » و « موتسارت » كى تستكمل على ايديهما دراساتك الموسيقية .

ـــ حقا ذهبت الى فينا لأتلقى العلم على هايدن ولم أتوان فى تحصيل دروس على أيدى أستاذى الذى أعجب بى وقدرنى

غير أننى توهمت أن هايدن أهملنى وانه مشغول بمؤلفاته فتركته وقاطعته وذلك حين تفحص الموسيقار (شنيك) كراستى الموسيقية وأشار الى وجود أخطاء أهمل هايدن تصحيحها حتى أننى قلت : أيهملنى هايدن ولا يهم بتصحيح أخطائى اذن فما الذى أرجوه فى ذهابى اليه اذا كنت لا أفيد منه شيئا . وانقطعت عن الاستمرار فى تلقى دروس على يديه .

● مهلا .. مهلا أيها الموسيقار بتهوفن .. ان هايدن لم يكن مهملا فى تصحيح هذه الأخطاء ـ كما تتوهم ـ وانما كان يعتقد أن كثيرا من النظريات والقواعد لم توضع الا لترشد من لم يمنحهم الله موهبة خاصة وليس لها أن تقيد الأبطال والنوابغ . واعتقد أن حداثة سنك حينذاك جعلتك لا تدرى هذا التفكير الذى جاءت الأيام فيما بعد مؤيدة لرأيه . فقد خولت لنفسك بعد انفصالك عن هايدن بسنين قليلة حق الخروج على القواعد الموسيقية الموضوعة حتى انك كنت تقول عندما تتعارض القواعد مع مؤلفاتك ((اذا لم يكن هذا مطابقا للقواعد والنظريات فالقواعد والنظريات هى الخطأ اما أنا فصح)) .

ـــ لقد كنت أسبق عصرى فى التكنيك والتصوير والادراك والفهم وعمق التعبير والمضمون .. الم يقل عنى (موزار) عندما سمعنى لأول مرة اهتموا به فسيقيم الدنيا ويقعدها ان عاجلا أو آجلا لقد قالوا عنى الطفل المعجزة .

● هل لنا أن نعرف بعض صفاتك وعاداتك ؟

ـــ أصحو قبل الفجر .. موسيقاى توقظ سكان البيت والشارع والحى .. كنت مرعبا لأصحاب البانسيونات فقد كنت أسكن فى أربع شقق مفروشة فى وقت واحد . ليس هناك على

الأرض من يحب الطبيعة والريف والغابات والتلال كما أحبها أنا . كنت أضرب تلاميذى الكســـالى على أيديهم بالخيزرانة .. كنت مفرطا فى الحساسية فبالرغم من كرم وعطف وصبر وأدب الأمير والأميرة (ليشنوفسكى) اللذين استضافانى لفترة ما فى قصرهما فقد استأجرت خادما خاصا عندما سمعت أن مضيفى قد أمر الخدم بتلبية (دقات جرس غرفتى قبلهما) .

● **مستر بتهوفن .. هل تسمح لنا ان نعرف المراحل التى مرت بها موسيقاك ؟**

ـــ اعتقد ان موسيقاى وحياتى أيضا مرت بثلاث مراحل : الأولى عنـــدما كنت فقيرا مجهولا معتمـــدا على اعطـــاء دروس خصوصية للأغنياء أو العزف فى حفلات خاصة .. فى هذه المرحلة وضعت (السوناتا) الرقيقة الملائمـــة للعزف فى الصـــالونات حيث يستمع اليها الهواة والأغنياء .

● **والمرحـــلة الثانيـــة .**

ـــ كانت ما بين عام ١٨٠٢ و ١٨١٤ . فى هـــذه المرحلة ذاع صيتى ولمع اسمى فى كل أوروبا وأصبحت أكسب من حفـــلات مفتوحة للجمهور حيث ازدادت قوة الطبقة المتوسطة وظهر منهـــا جمهور يستطيع أن يعيش الفنان عليـــه . كما كنت أبيع قطـــع الموسيقى فى السوق الحرة . خلال تلك الفترة انتجت الكثير من أعمالى ووضعت سيمفونياتى الثمانية وأوبرا فيدليو وافتتاحيات أجمنت وكوريولانس حتى ان الناس قد دهشت من اقبال جماهير الطبقة المتوسطة عليها كما دهشوا من قوتها الخارقة حتى وصفوها بأنها وحشية .

● **مهلا يا أستاذ بتهوفن .. لاتنسى أن النقـاد قـد حملوا عليك .. فمنهم من قـال انك لا تتوقف عن معارضـة كل القوى السياسية الموجودة وان عواطفك جمهورية وان موسيقاك تدل على الجهل والابتذال فتنطوى على خطر ثقافى حتى أنهم طالبوا بمنع التلاميذ فى المدارس من دراسة موسيقاك فكانوا يحفظونها سرا .. وهذا ما حاولت أن أذكرك به .**

— برغم ما قال النقاد فقد نجحت موسيقاى لأنها كانت تعبر عن روح العصر .. لم تكن واهنة تلائم حفـلات الرقص فى القصور ولم تكن حزينة اليمة خائرة تعبر عن الأسف على انقراض العهد القديم بل كانت قوية بطولية جارفـة مليئة بالمعارضـات السريعة العنيفة فى جو يؤكد أن التغير ضرورى ومفيد .

● **وماذا عن المرحلة الثالثة من موسيقاك ؟**

— هى التى بدأت سنة ١٨١٤ حتى وفاتى .. لم أنتج السيمفونيات لمدة أحد عشر عاما كاملة ثم أخرجت السيمفونيـة التاسعة وكانت الأخيرة .

● **هل هناك سبب لاحجامك عن تاليف السيمفونيـات لمدة احدى عشر عاما ؟**

— خلال هذه الفترة .. هزم نابليون .. عادت الملكية الى فرنسا .. تعرضت أوروبا لموجة رهيبة من الرجعية .. امتلأت العواصم ومنها فينا بالجاسوسية والارهاب وانصب الاضطهاد على رؤوس الزعمـاء المتحررين وفى هـذا الجو يستحيل القـاء تلك الخطب الموسيقية العامة فتحولت مرة أخرى الى (السوناتا) التى كانت موسيقاها تملأ الناس برغبة المقاومة والعناد والايمـان بالحيـــاة .

● **هل من أمثلة دون ادخالنا فى متاهات المصطلحات الموسيقية ؟**

— نعم .. فمشاعر الحب فى قطعة (ضوء القمر) لا نجد فيها أثر الحزن والاستعطاف وهو صورة الحب القديم بل هى مزيج من الحنان والفرح .. كذلك النغمة البطيئة التى صورت بها مشهد القبر فى روميو وجوليت لا أصف فيها قبول الموت بل الصراع من أجل الحياة لا أضع فيها نواحا بل استشهادا بطوليا عظيما .

● **متى وضعت السيمفونية التاسعة ؟**

— وضعتها عندما لم تعد الروح الديمقراطية الملتهبة تملأ صالات الموسيقى لقد ختمتها بنشيد جماعى عن الأخوة والانسانية والسلام .

● **هلا حدثتنا عن احدى سيمفونياتك وياحبذا لو كانت السيمفونية الثالثة ؟**

— تقصد (ايرويكا) التى مجدت فيها البطولة . لقد اعتزمت أن أتقدم بها الى نابليون بعد أن تبينت المبادىء الجمهورية التى قامت عليها الثورة واعجبت بها وتحمست لأفكارها وما أن انتهيت من اللحن حتى فوجئت بأن نابليون قد الغى الجمهورية واعلن نفسه امبراطورا على فرنسا وكان هذا مخالفا لمبادىء الثورة التى جعلت السلطة للشعب . لذلك تغيرت نظرتى لنابليون .. رأيته انتهازيا طامعا لم أره بطلا لذلك قررت تمزيق اللحن لولا أن انتزعه منى أصدقائى بالقوة . لقد غيرت بعنوانها الى « سيمفونية البطولة فى ذكرى انسان عظيم » . وعندما مات نابليون قلت عن لحن المارش الجنائزى وهو جزء من تلك السيمفونية « لقد كتبت هذه الموسيقى لتلك المناسبة » .

● **يقولون انك اول من ادخل الشعر فى السيمفونيات الموسيقية ؟**

— نعم فقد استخدمت بعض أشعار (شيلر) فى الحركة الأخيرة من سيمفونيتى التاسعة المعروفة بالسيمفونية « الكورالية » .

● **بالطبع يعوزنا الوقت لو طلبنا اليك ان تشرح لنا الفرق بين السيمفونية والكونشرتو والسوناتا والأوبرا .. لذلك سوف نكتفى بأن تبين لنا أشهر اعمالك .**

— سيمفونية البطولة (أرويكا) الخامسة (القدر) ـ كنشرتو الامبراطورى « بيانو » كونشرتو الكمان ـ سونتا باثينيك ـ القداس ـ أوبرا فيدليو .

● **اذا كان ما اوضحت هى مؤلفاتك الخالدة .. اذن فكم كان عدد مؤلفاتك ؟**

— ٣٢ سوناتا للبيانو ـ ١٠ سوناتا للتشيلو والبيانو ـ ١٠ سوناتا للكمان ـ ٥ سوناتا للتشيليو ـ ١٠ ثلاثى للكمان والتيشيليو والبيانو ـ ١٤ رباعى ـ ٩ سيمفونيات ـ ١٥ كونشرتو للبيانو ـ كونشرتو للكمان .

● **ما هى اقرب السيمفونيات الى قلبك ؟**

— كانت السيمفونية الثامنة .. فهى تروى قصة يوم فى حياتى .. وتثبت حلاوة طبيعتى وطيب عنصرى وسماحة خلقى .. رغم كل ثوراتى وشطحاتى .

● **هل تزوجت يا مستر بتهوفن ؟**

— لم أتزوج برغم الاشاعة التى زوجتنى عام ١٨١٠ من

« تريزا مالفاتى » ابنة احد كبار الملاك .. وليس معنى اننى لم اتزوج انه لم يكن لى قصة حب أو غرام .

● **نحن نعلم ان حياتك مليئة بقصص الحب والغرام .. بل تكاد رسائلك تفضح علاقاتك الغرامية مع المغنية « ماجدلينا ويلمان » والمغنية « اماليا سيبولد » و « انا مارتى أرودودى » .**

ـــ والكونتيسة « جوليتا جوتشاردى » والكونتيسة « تريزا فون برونزويك » وجوزفين دايم .

● **ما دمت قد ذكرت هؤلاء فياحبذا لو اوضحت مدى علاقتك بكل منهن .**

ـــ الكونتيسة جوليتا جوتشاردى كانت لعوبا شديدة الأنانية وبعد سنة من حبى الطاهر المخلص لها تركتنى وتزوجت الكونت جالنيرج لقد كانت خيانتها طعنة قاسية اصابت بها شغاف قلبى . ومن المؤسف انها لم تكتف بذلك بل حاولت استغلالى لفائدة زوجها . اما الكونتيسة تريزا برونزويك فقد كنت اعرفها منذ ايامى الأولى فى فينا فقد كنت أعلمها البيانو ولم يخطر فى بالى أن أحبها . كما كنت اتصل بأخيها الكونت فرنسوا بصداقة متينة . فلما تزوجت جوليانا بعد ذلك بثلاث سنين زرت صديقى القديم فى مارتنفاز بالمجر والتقيت بتريزا وجلست الى البيانو أعزف بعض الحانى فى ضوء القمر ثم لعبت اغنية سباستيان باخ « ان شئت أن تهبينى قلبك فليكن ذلك أول الأمر خفية حتى لا يستطيع أحد أن يحس مسارح افكارنا المشتركة » . فى صباح اليوم التالى تقابلت معها فى الحديقة وقلت لها اننى اكتب أوبرا بطلتها فى دخيلة نفسى وأراها أمامى حيثما ذهبت واينما اقمت وما أحسبنى سموت يوما هذا السمو فكل ما أمامى ضياء وطهر ونور . لقد ادركت تريزا حبى لها . وخطبتها من اخيها وظللت الخطبة من ١٨٠٦ حتى ١٨١٠ اى اربع سنوات .

ومع الأسف هـذه الخطبـة انفصمت وان لم تنفصم عروة الحب بيننا حتى وفـاتى فى عام ١٨٢٧ وكما قيل أنها ماتت فى ١٨٦١ وهى ما تزال على عهدى وحبى .

● اذا كانت تريزا برونزويك قد احبتك هـذا الحب الكبير فلماذا لم تتزوجك ؟

ـــ لا أدرى وان كان قد قيل أن فقرى واختلاف مكانتى الاجتماعية مع مكانة تريزا .. كما أيضا قد يكون طبعى الحـاد القاسى الذى لا تهون الحياة الأسرية معه .

● أراك تحاول أن تهرب من ذكر حبك المتبادل ورسـائلك الملتهبة مع الكونتيسة « جوزفين دايم » .. الأنها قصـة غرام كانت خافية وغريبة لأن هـذه كانت الشقيقة الصغرى لحبيبتك وخطيبتك خلال اربع سنوات .. والقصد بها الكونتيسة تريزا .. على كل حـال لقد نشرت بعد وفاتك مجموعة كبيرة من خطابات الغرام التى كنت تكتبها لها .

ـــ الحب رضينا أو أبينا هو سيمفونية خالدة .

● لقد لاحظت يا مسـتر بتهوفن أن معظم غراميـاتك مع نساء شهيرات اما بعراقة الأصل واما بوفرة الفنى الى جـانب الصبا والجمال والتذوق الفنى فهل لهذا سبب ؟

ـــ شعورى بالتفوق واحساسى بروعة انتاجى وذيوع صيتى وانسياب المـال بين يدى .. الى جانب مشاعرى الشابة وخفقان قلبى وشاعرية موسيقاى كل ذلك دفعنى للارتباط بمشاعر الحب مع كثيرات من النساء الشهيرات الجميلات .

● **من من هؤلاء الحبيبات اللاتى ذكرتهن اثرت فى حياتك والى اى مدى ؟**

ـــ بالطبـــع تريزا برونزويك كان لحبها الأثر الواضـــح فى موسيقاى .. فاللحن الرابع الذى كتبته فى أول أعوام الخطبة زهرة تتضـــوع بشذا السكينة والخلود الى صفو العيش مع الناس .. كذلك الألحان التى كتبتها فى فترة الخطبـــة كانت أقل ثورة واكثر ترنما بنعمـــة الحب والحيـــاة ومنهـــا لحن الريف بأغاريد بلابله واطياره وأغنيات شبانه وفتياته وقد تدهش لو عرفت أن اثر هذا الحب لم يقف عند انتاجى الموســـيقى بل تعداه الى حيـــاتى الخاصة فجعلنى محبا للتانق فى الملبس وميالا للاختلاط بالناس والتحدث اليهم حاضر النكتة ظريفا حتى أن الناس نسوا صممى ولم يلاحظوا الا ضعف بصرى .

● **الم تربطك علاقة حب او اعجاب مع « بنيتا برنتانو » ؟**

ـــ تقصـــد صديقـــة الشاعر جيته .. لقد كانت ســـيدة مشـهورة اثرت فيها موسيقاى فبعثت لجيته رســـالة تصف فيها عظمة الحانى .. لقد كتبت له : ليس فى العـــالم ملك ولا امبراطور له مثل شـــعوره بقدراته لمـــا رايته انمحى الوجود كله من امامى . ولقد انسانى بتهوفن العالم وانسانى اباك ايضا يا جيته » .

● **مستر بتهوفهن .. يقال انه كان لك بعض التصرفات الشاذة التى ارجع الأطباء اسبابها الى امراضك .**

ـــ تقصد ما كان يقال عنى بأننى مندفع .. متهور .. نزق .. سريع الغضب والانفعال والتهيج .. نزاع الى الشـــك والارتيـــاب .. كثير النســـيان والاهمـــال .. مكتئب جزع .. موسوس .. متقلب المزاج .. غامض متناقض .

● كفى .. كفى .. يا موسيقارنا الخـالد .. فرغم صفاتك الظاهرية فقد كنت فى اعماقك مخلصا بسيطا .. ديمقراطيا عبقريا شامخا . وان ما ذكرته من صفات قد يكون سببها غراميـات فاشلة او حياة اسرية قاسية بدات مع الطفولة .. او عاهة الصمم التى حلت بك وانت فى قمـة مجدك وحار الطب فى امرك وعجز عن انقـاذ سمعك فالجاك ذلك الى الانزواء والتفكير فى الانتحار .. وقد يكون للأمرض الكثيرة انعكاساتها على تصرفاتك .

ـــ قولك هذا حق .. وبريح صدرى فقد كان الصمم وانا لم اكمل الثامنة والعشرين من عمرى هو سر بلواى وتصرفـاتى الشاذة .

● يقولون يا مستر بتهوفن انك كنت شديد الديمقراطية متمسكا بمراها تعتقد ان الناس سواسـية لا فرق بين من شرفتهم الالقاب الفخمة ومن شرفتهم الطبيعة بمواهب خاصة .

ـــ حتى اننى كنت ارفض ان يفضـل على فى اى مجلس امير او شريف بل كنت شخصـية جبارة تشق طريقهـا فى الفن والحياة دون ان احفل بمن حولى حتى ولو خرجت فى ذلك عن حدود اللياقة والأدب .

● لعل ذلك يجرنا للاستفسار عما اغضبك من (جيتـه) وياحبذا لو وضحت موقفك منه .

ـــ ذات مساء ونحن فى طريق عودتنا انا وجيته من نزهة تقابلنا مع العائلة المـالكة كلها وكنا قد رايناهم من بعد فانتزع جيته نفسه من ذراعى ليقف على حافة الطريق وحاولت أن ازحزحه عن موقفه فلم يرض . عند ذلك زررت سترتى ووضعت قبعتى

على راسى وسرت ذراعى وراء ظهرى ووسط الجموع الكثيفة وافسح لى الأمراء والحاشية لى طريقا ورفع لى الدوق (رودلف) قبعته وكانت الامبراطورة أول من حيانى .. فالعظماء يعرفوننى .

● **واين كان جيتـه ؟**

ـــ لقد مر أمامه الجميع وهو فى مكانه على حافة الطريق منحن أشد الانحناء وقبعته فى يده . لقد لمته أشـد اللوم بعد ذلك ولم أغتفر له قط تصرفه .

● **لـماذا هذا اللوم ؟**

ـــ لأننى كنت أعتقد أن اجتماع رجلين مثلى أنا وجيتـه يوجب على هؤلاء أن يحسوا بعظمتنا فالملوك والأمراء قد يخلقون المستشارين ويغرقونهم فى الرتب والألقاب ولكنهم لا يستطيعون ان يخلقون عظماء الرجال وخاصة من يسمون بأذهانهم .

● **على كل لم ينس لك جيته هـذه الاساءة فقد قـال لأصدقائه انك شخصية لا سبيل الى تالقها وهو يعذرك ويشفق عليك لأنك (أصم) . ومع ذلك فكراهيته لك لم تمنعه من الاعجاب بالحانك حتى انه قال هـذا بديع وعظيم وفوق العقل وذلك حين غلبه اللحن وجماله .**

ـــ لقد تواخيت أن تضم أعمـالى الموسيقية الى العمق ذلك الاحساس بالكمـال فى بنائها جميعا . ان الكثير من ابداعى الفنى ظل عميق الأثر فى الأجيال التالية .. فقد أطلت السيمفونية ووسعت مجالها وعن طريق قدرتى فى عرض امكانيات البيانو سـاعدت كثيرا على أن أجعل من البيانو أعظم الآلات الموسـيقية .. بل

لا اكون مغاليا اذا قلت أننى الذى ساعدت الموسيقى على أن تنتقل من مرحلة الكلاسيكية الى الرومانسية .. كما أننى الذى جعلت الأوركسترا اكثر عددا .. ولى الفخر ان اكون أول من وضع معالم الموسيقى الرومانسية . لقد لقيت أعمالى شهرة واسعة وجمهورا عريضا .

● من من الموسيقيين اثرت فيهم ؟

ـــ لقد كان اثرى عميقا على جميع الموسيقيين بل كان اثرى على عباقرة متنوعين فى مزاجهم وقدراتهم والوانهم .. من هؤلاء برامز .. فاجنر .. شوبرت وتشايكوفسكى . كما أننى مهدت الطريق لظهور عباقرة آخرين مثل برليوز ومالر وريشرد اشترواس وكثير غيرهم .

● يقولون ان حبك لأخويك كان شديدا وكذلك لابن اخيك بعد أن مات أبوه .. فهل لك أن تميط اللثام عن هذه العلاقة فى صدق وشجاعة ؟

ـــ عندما ماتت أمى لم يعر المجلس الحسبى والدى اهتماما لأنه كان سكيرا مدمن مخدرات ضائعا . لذلك قرر المجلس ان اكون وصيا على اخوتى . لم اصدم فى والدى فقط ولكن كان اخواى يتبعانى ويبتزان الأموال من عرق جبينى دون ان ابدى حراكا . لقد شببت صبورا على أخطاء اسرتى واكسبنى ذلك اعتدادا وغلوا فى الفهم والادراك وبالرغم من اليأس الذى اصابنى بالصمم وتصورت أن يقفا هما الى جوارى .. مع الأسف كان اخواى يستغلان الحانى استغلالا ماديا ولم يكن يهمنى ذلك كثيرا لأن حبى الأخوى كان يتفق مع عظمة الفضيلة التى تفيض بها نفسى أناشيد والحانا قدسية سامية . لقد اعتبرنى اخواى

مزرعة تستغل ومورد رزق فياض . فقد كانا يتفقان مع الناشر على بيع الحـانى ويتقاضون الثمن ويتركون لى القليل بما يسـد الأود . لقد جعلوا حياتى مملوءة بالهم والنكد والفقر . ومع الأسف مات اخى (جاسبار) وترك لى ابنا أحببته بقوة وشغف ولكن سار الفتى سيرة سيئة ولم يستمع الى نصحى واستدان كثيرا ومن فرط حبى كنت اسدد ديونه . وسافرت لأبحث عن وسيلة اوفر بها مستقبله فلما عدت أصابنى برد شديد ولم يكن أحد من اصدقائى حاضرا ليعنى بى فكلفت ابن أخى هـذا أن يبحث لى عن طبيب فنسى مدة يومين ثم جاء الطبيب وعالجنى علاجـا سيئا أودى بحيـاتى .

● **لقد كانت وصـيتك التى عشت بعد كتابتهـا أكثر من خمسة وعشرين عاما وكذلك مذكراتك ورسائلك للأصـدقاء تعكس ما فى نفسك وحياتك بحلوها ومرها فهل لنا ان نعرف ماذا كنت تكتب للأصـدقاء ؟**

ـــ كان ضمن أصدقائى المقربين دكتور (وجلر) صـديق صباى فى مسقط راسى .. لقد كتبت له الكثير عنـدما أحببت جولياتا ، وكذلك صـديقى (أمندا) الذى تمنيت أن يكون الى جانبى عندما أصابنى الصمم .. الكونت فرنسوا برنزويك الذى كان صديقا قديما لى والذى خطبت شقيقته تريزا فيما بعد .. لقد كانت رسائلى اليهم قطعا من الأدب الصادق تعكس ما فى القلب من فرح وألم .. وما فى النفس من عـذاب وشـقاء .. وما لقيته فى حياتى من عقوق الأخوة وخيانة الحبيبات .

● **متى حلت بك عاهة الصمم ؟**

ـــ فى الثامنة والعشرين من عمرى وانـا فى قمـة مجدى .

وانـا صاحب صولجان النغم وشاغل عرش الألحان .. كم لاقيت بسبب هذه العاهة من عناءوهم . ويكفي أن تعرف انني عجزت عن ادارة (أوبرا فدليو) عام ١٨٢٢ . فقد كانت عصـاى بطيئـة وكانت الآلات الموسيقية بطيئة معها لكن المغنين لم يكونوا يستطيعون اتباع هـذه الموسيقى وكانوا يسرعون وحصل اضطراب اضطر معه مدير الجوق العامل الى ايقاف التمثيل . مع الأسف الشـديد عندما أصبت بالصمم التام فى أواخر الأربعينات من عمرى لم أعد أذهب الى الحفـلات الموسيقية وانسحبت اجتماعيا وأصبحت اعمالى أقل وأكثر صعوبة حتى لم يعد من السهل فهمها وأصبحت أؤلف موسيقاى لنفسى أو للأجيال القادمة .. أليس عجيبا حقا ان أعمالى التى أبدعتها وأنا أصم تعد أروع وأعظم من كل ما فاضت به قريحتى . لقد حاولت التغلب على هذه العاهة فلم أستطيع .. لم أستطع ان أقول للنـاس ارفعوا الصـوت لأنى أصم .. وكيف أستطيع ان أذيع ضعف حاسـة كان يجب أن تكون عندى أقرب الى الكمال منها عند الآخرين .. حاسـة كانت فى المـاضى بالغة من الصحة حدا لم يتح لقليل من أبناء فنى ان يبلغوه .. أى مذلة أن أرى رجلا على مقربة منى يسمع قيثارة من بعيد وأنـا لا أسمع شيئا أو يسمع غنـاء الراعى ولا أسمع أنا شيئا .. لقد قاربت التجارب بينى وبين اليأس حتى كدت أقضى بيدى على حيـاتى لكنه الفن .. نعم هو وحده الذى استبقانى .

● **هل كان الصمم هو المرض الوحيد الذى اصيبت به ؟**

ـــ لقد بدأت الأمراض تهاجمنى منذ صبباى بحمى نجم عنها ربو وشعور بالكآبة دفعنى الى ملازمة الصمت كثيرا . تعرضت وانـا فى الثلاثينات من العمر لهجمـات آلام ناجمة عن تقلصـات فى القولون واسهال شديد عانيت منهما حتى آخر حياتى .. اما سنواتى العشر الأخيرة فقد اصبت بالصمم واصبحت ـ اسمع

بعقلي خلالها ـ قبل وفاتي بسنين قليلة عانيت من التهابات جلدية اضطرتني لعمل قناع والتهابا في الغشاء المخاطي وروماتزم وآلام شديدة في عيني وأذني وادت كل تلك الالتهابات الى التهاب شديد في الكلى كان أهم أسباب وفاتي .

● لقد كنت شجاعا .. ففي أيامك الأخيرة وانت ملقى على مرتبة من قش مليئة بالحشرات وجسدك يقاوم في تحد ماء ملوثا تشبعت به انسجة جسمك الذي يفرز خراجاته بدون وعي منك والنهاية تبدو قريبة استجمعت قواك في ارادة من فولاذ لتكتب بداية السيمفونية العاشرة ولكن لم يمهلك القدر فسرعان ما اصبت بتسمم دموي وتعفن عام تسبب فيه نفس الأطباء اللذين حاولوا تخليص جسدك من الاستسقاء ووافتك المنية في ٢٦ مارس ١٨٢٧ وانت في السادسة والخمسين وثلاثة اشهر وتسعة ايام .

ـــ ما أريد أن يعرفه جيلكم اننى كنت ضحية تشخيص خاطيء في كثير من حالات مرضى .. فانا لم اصب بالزهري وان استخدامي للزئبق لم يكن لعلاج الأمراض التناسلية بل كان لعلاج التهاب في امعائي والروماتزم .. وان ادمان الخمر لم يكن سبب اصابة كبدي .. وان ضعف العصب السمعي لم يكن سببه مرض الزهري كما قال الأطباء في أيامي .. وقد لا يدرك البعض تلك الحقيقة بانني لم اكن ابالي كثيرا بارتياد الحياة الجنسية الا في اكثر صورها رومانسية .

● ان حقيقة امراضك ايها العزيز بتهوفن كانت موضع سة الدكتور (ادوارد لاركن) الطبيب بمستشفى وست انتر راض العصبية .. فقد خلص هذا الطبيب الى استنباط ة جديدة عن امراضك تقول ((ان امراض الفنان العبقري كانت ت حصانة ذاتية ولذلك تكررت اصابتك بالأمراض وصعب على

اطباء تلك الأيام شفاؤك منها ويرجع ذلك الى ان جسدك قد اصبح حساسا لبروتيناته الذاتية ونتيجة لذلك فان رد فعل جسدك وتجاوبه مع الأمراض كان يخالف ما يحدث للأشخاص العاديين عندما يصابون بنفس الأمراض .. لأن قدرتك على مقاومة الاصابة بالأمراض كانت قليلة الى حد بعيد .

ـــ تقصد بقدر ما حيرت موسيقاى العالم حيرت أنا أطباء عهدى .

● ما اقصد ان اقوله ان الأمر الذى تقطع به نظرية دكتور لاركين الجديدة عن حقيقة امراضك ان جسدك العجيب كان يقاوم بطريقة يعجز عن فهمها الانسام ويتحدى على مر الأيام كل حاد ومبرح وملح من الآلام .

ـــ هل هناك كتب ومقالات تناولت قصة حياتى ؟

● بالطبع فهناك كتاب « حياة لودفيج فان بتهوفن » لتاير ، و « بتهوفن وسيمفونياته التسع » لجورج جروف ، و « بتهوفن الرجل الذى حرر الموسيقى » لشوفلر ، و « اصعب الموسيقيين فهما » وكتاب « السنوات العشر الأخيرة فى حياة العبقرى الخالد » لمارتن كوبر .. كما كتب عنك آلاف المقالات بكل اللغات كما تسمع موسيقاك فى كل بيت مقرونة بالاعجاب والتقدير لشخصك.. يا شكسبير الموسيقى .. ملك الأنغام الدرامية .. محرر الموسيقى شاعر الأنغام والآلام .

ـــ كل هذا قيل عنى بعد وفاتى .

● وقبل وفاتك ايضا .. الم تكرمك فينا عام ١٨١٥ بان منحتك وسام (المواطن الفخرى) .. الم يجمع العازفون الذين

عاصروك على انك امهر عازف بيانو فى العالم واسموك عملاقا بين العازفين .. حقا لم تلق نصيبك الجدير بك من التقدير الا بعد وفاتك بسنين طويلة عندما اعيد اكتشاف موسيقاك الصعبة .

— ترى هل شيع أحد جنازتى .. أم دفنت فى صمت داخل قبر مهجور ؟

● لقد شيعك عند وفاتك ثلاثون الفا ، ولبست عليك فينا الحداد ، ودفنت فى مقبرة وارنج ومايزال قبرك الى اليوم فيها وعليه هذه الكلمة الوحيدة الخالدة « بتهوفن » .

ان روحك ايها الموسيقار الخالد المائلة فى الحانك واناشيدك وعزفك ما تزال باقية وان مذكراتك التى تركتها للمؤرخين وما اودعته بها عن جميع حساباتك ونفقاتك بدقة مذهلة مازالت حتى الآن موضع دراسة وجدل .. والخطابات المتبادلة بينك وبين الأصدقاء والأحباب مازال يتناولها جيلنا وسوف تتناولها الأجيال بعدنا . لقد كنت ترى الموسيقى الهاما أسمى من الحكمة ومن الفلسفة وهل هناك أكثر من الموسيقى سحرا وقداسة .. وهل هناك اثر أخلد من موسيقاك ايها الموسيقار العبقرى

« لودفيج فان بتهوفن »

● جريدة اخبار دمياط

العدد ١٥٣٥ بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٦ ، ١٥٣٦ بتاريخ ١٩٨٧/٣/٣٠ ، ١٥٣٧ بتاريخ ١٩٨٧/٤/١٣ ، ١٥٣٨ بتاريخ ١٩٨٧/٤/٢٧ ، ١٥٣٩ بتاريخ ١٩٨٧/٥/١١ .

مـــارى كـــورى

١٨٧٦ — ١٩٣٤

امراة لم يفسدها مجد الشهرة والنجاح

فى الفنون والآداب .. فى الطب والتدريس .. فى الصحافة والاذاعة .. حتى فى العلوم ورحـلات الفضاء حلقت (المراة) كالفراشـة لتثبت وجودهـا وتحارب قضيتها .. لتسحق بشـدة كل المحاولات الراميـة لإقصـائها او النيل منهـا ليتربع الرجـل (وحـده) على هـذه العروش . فضـاعفت المراة جهودها . وبرزت وتالقت وتفوقت فى كل مجال .. حتى ان التاريخ قد خلدها ايضا فى اكثر المجـالات تعقيدا وهو مجـال العلوم والطبيعة .

واليوم نقدم دليلا ملموسا فى مقابلتنا الخيالية

مع المراة التى كان لتفوقها فى البحوث العلميـــة اعظم الاكتشافات التى كان لها فضـــل السبق فى تخفيف الآم البشريـــة من مرض السرطان العضـــال فدان لها الجميع بالعرفان وكانت (الوحيدة) بين العلمـــاء من رجال ونساء التى حصلت على جائزة (نوبل) مرتين منذ انشاء هذه الجائزة وحتى الآن .

● **سألتها عن مولدها وطفولتها فاجابت :**

ـــ ولدت فى ٧ نوفمبر ١٨٧٦ فى وارسو عاصمة بولندا . وكنت اصغر اربعة اخوات وشقيق لأب يعمل استاذا للطبيعة وام عذبها مرض السل الذى ترك ظلالا من الكآبة واليأس والألم فى محيط اسرتنا وخاصة ابى الذى كان يعذبه آلامها حتى اختطفها الموت فى الوقت الذى احيل الى المعاش وضاعت مدخراته من انفاق على ام مريضة ومغامرات تجارية خاسرة . فى هذا الجو الكئيب حيوت طفولتى . لم يلهينى اللعب عن الدراسة وحب العمل فكنت الأولى فى جميع سنوات دراستى وامتزت بذاكرة قوية .

● **حتى قيل انك اذا استمعت لقصيدة مرتين تحفظيها عن ظهر القلب .**

ـــ هذا صحيح .. وانتقلت من طور الطفولة الى الشباب فى السابعة عشر من عمرى اصبحت فتاة جميلة متفوقة فى دراستى غير ان فقر اسرتى وان ترك اثره فى نفسى الا انه لم يثننى عن محاولة السعى .

● **فقمتى باعطاء دروس خصوصية فى الحساب والجبر**

واللغة الانجليزية باجور زهيدة حتى تحققين حلم ذهابك الى باريس .

— الحقيقة لم اكن افكر فى نفسى وانما كنت اريد مساعدة شقيقتى الكبرى (برونيا) التى كانت تعيش بأمل دراسة الطب فى باريس .

● وهل امكن بدخلك الصغير من الدروس الخصوصية تحقيق هذه الرغبة ؟

— بالطبع لا .. لذلك قررت أن أشتغل مربية وتقدمت لمكتب التخديم ومعى شهادات اولياء امور الطلبة الذين كنت اعلمهم الى المسامى التام باللغات الألمانية والروسية والفرنسية والبولونية والانجليزية .

● كل هذه اللغات .. اذن من المؤكد انك حصلتى على العمل الذى تريدنه وباجر مرتفع .

— فعلا حصلت على العمل فى بيت محام ثرى . وانتقلت من بيتنا الهادىء البسيط لأجد نفسى اعمل مع اسرة رغم غناها الفاحش لا تدفع اجرى بسهولة ولا فى موعده . وكان من الضرورى ان اترك هذه الأسرة الى غيرها تلتزم بدفع الأجرة فى موعدها حتى أدبر المال اللازم لأختى التى تعيش على الكفاف فى الحى اللاتينى لكى تصبح طبيبة .

● وقد وفقتى فى العمل عند ناس طيبين .

— ان الحاجة والاضطرار يدفعان دائما لأن نتحمل الناس

ونصبر على تفاهتهم . غير أن الضرورة كانت تدفعني دائمـــا للتنقل من بيت الى آخر يدفع اجرا أكثر حتى انك قد تدهش اذا عرفت انني سافرت الى بلدة تبعد مائة كيلو عن وارســو قطعتها بالقطار فى ثلاث ساعات ثم اربع ساعات على زحافة تتزحلق على الجليد كى اقيم وسط اسرة واســعة الثراء تمتلك مصــنع للســكر .

● يبدو انك وجدت ضالتك المنشودة فى الاستقرار .

ـــ ليس كما تتوهم فانا لم اكتف بتربية اطفال الأسرة بل قمت بتعليم أولاد العمــال القراءة والكتابة مجانا .. لقد وهبت نفسى للعمل .

● فاحبك الجميع وخاصة ابن الأسرة الذى جاء لزيارتها فالتقى بك واعجب بجمالك وعقلك وحب اهله لك واحبك وتواعدتما على الزواج .

ـــ نعم ولكن أهله رفضــوا زواجنا لعدم التكافؤ . ولم يجرؤ هو أن يحمل أهله على تغيير موقفهم .. وغلبت العقل على العاطفة وانهيت ما بيننا واضطررت للبحث عن أسرة أخرى تزيد من اجرى كى احقق لأختى حلمها .

● وتحقق امل برونيا واجتازت امتحانها بنجاح .

ـــ وتقدم زميلها (كازيمير دلوسكى) وطلب يدها وارسلت الى تطلب منى وقف الاهانة وأن أحتفظ لنفسى بما أحصــل عليه من أجر حتى اذا ما تجمع لدى رصيد يؤهلنى للسفر الى باريس ودفع نفقات الجامعة ذهبت .

● متى ذهبت الى باريس ؟

ـــ بعد أن امضيت ثمانى سنوات منذ تخرجى من المدرسة

وبعد أن عملت مربيـــة ست سنوات متواصلة لأعين شقيقتى . كنت بلغت الرابعة والعشرين من عمرى عندما تلقيت من أختى دعوة عاجلة للذهاب الى باريس . اضطررت لأن أترك المنزل الذى عملت فيه مؤخرا رغم استقبالهم الطيب لى وتقديرهم وكرمهم . وعدت الى وارســو ومنها أعددت عدة الرحيل . وباختصـــار ركبت الدرجة الثالثة بالقطار وحملت معى احتياجات معيشتى من ملابس وسرير قديم وصندوق خشبى الى باريس .

● **هل يمكن أن تلقى الضوء على حياتك فى باريس ؟**

ـــ ذهبت الى الســـوربون وانتظمت فى كليـــة العـلوم ومدرجاتهـا . كنت أجلس فى الصـف الاول وبجـوار النافـذة ولا يشغلنى الا الدرس والبحث .

● **لماذا فكرتى فى تغيير اقامتك وترك بيت شقيقتك فى باريس ؟**

ـــ حتى أترك لشقيقتى شقتها الصغيرة وكى اوفر ساعتين من الوقت كنت اقضيها فى الذهـاب والعودة الى الســوربون . والكلام فى سرك كى اوفر اجر الاتوبيس وكى اجد حريتى ولا اتسبب فى مضايقة أحد .. وتفتكر انـا عشت فى غرفة واحدة على طول . بالعكس أخذت أتنقل من غرفة الى أخرى حتى استقريت فى غرفة فوق ســطوح اعجبتنى لأن اجرها عشرين فرنكا وتتفق مع مواردى المحددة التى لم تزد عن مائة فرنك فى الشهر .

● **هل حققت اهدافك من دراستك ؟**

ـــ بنجاح .. فقد ساعدتنى مكتبة (سانت جنفياف)

بكتيها القبمة على الدراسة الجادة وحصلت على ليسانس الطبيعة عام ١٨٩٣ وكان ترتيبى الأول وعلى ليسانس الرياضيات عام ١٨٩٤ وكان ترتيبى الثانية وفزت بمنحة (الكسندروفتش) وستمائة روبل هدية مكافاة البحث الذى تقدمت به .

● **طبعا حصولك على ستمائة روبل نقلك من حياة الكفاف الى حياة البذخ .**

ـــ انت واهم ..لقد اعدت الستمائة روبل الى المؤسسة لأننى لا استطيع ان.آخذ نقود إكثر مما احتاجه فعلا .

● **كيف التقيت ببيير كورى ؟**

ـــ جمعنا المعمل . كان تفكيرنا مقصور على البحث العلمى وكلانا كان شغوفا بالعمل . التقينا فكريا وتبادلنا التقدير والاحترام وتفتحت العواطف وتوثقت الألفة والتفاهم وزادتنا العاطفة اقترابا .

● **متى تزوجتما ؟**

ـــ عندما فكرت فى العودة الى بلدى لأودى واجبى نحو اسرتى وكى أعيش فى الريف البولونى ولما بلغت (بيير) برغبتى هذه قال لى : ليس من حقك ان تهجرى العلوم .

● **تهجرى العلوم .. أم تهجريه هو ؟**

ـــ الحقيقة هو طلب يدى انما ظهرت فى محيطنا مشكلة .. كيف تتزوج فتاة بولونيا من شاب فرنسى . وفكرت انى بالموافقة

على الزواج من بيير اصبح جحودة لأسرتي وخائنة لوطني وخصوصا بعد أن اجتزت امتحاناتي بنجاح وكان أنعدت الى وارسو وقضيت فيها ثلاثة شهور طويلة لم تنقطع خلالها خطابات (بيير العزيز) .. تارة يطلب في اصرار ان يحضر للقاء أبي ويطلب يدي وتارة أخرى يكتب الى ليس من حقك أن تهجريني .

● **احسست من خطاباته أنه يناديك وبالطبع قررت تلبية نداء القلب .**

— وتزوجنا في ٢٦ يوليو ١٨٩٥ .

● **في حفل زفاف كبير ومأدبة عشاء فاخرة .**

— مهلا .. مهلا .. لا شيء أبدا مما تقول .. لا ثوب أبيض ولا خاتم زواج ولا مأدبة عرس ولا حفلة كنيسة .. لقد كان فستان عرسي صوف أزرق قاتم .. لقد تزوجنا بالسجل المدني وقضينا شهر العسل في الريف على دراجتين مملوكتين لنا .. لقد كنا قلبين ينبضان بالحب وعقلين يلتقيان بالتقدير .. واستقرينا بعد الزواج في شقة صغيرة اثاثها محدود . أهم قطعة المكتبة وتربيزة المطالعة .. واصبحنا واحدا في الحب وواحدا في العمل حتى رزقت بطفلتنا (ايرين) في ١٢ سبتمبر ١٨٩٧ .

● **هل عاقتك (ايرين) عن اعداد بحوثك ؟**

— لم يحدث فقد حصلت على الليسانس وفزت في مسابقة (الاجرجاسيون) وقدمت بحث في مغنطة الفولاذ المسقي ومع ذلك كنت أدير بيتي واطبخ بنفسي واحمي طفلتي وارعى شئون بيير كزوج أيضا .

● **مدام كورى .. كيف تمكن لك ولزوجك بيير كورى اكتشاف (الراديوم) مع الأخذ فى الاعتبار بقدر المستطاع الابتعاد عن المصطلحات العلمية المتخصصة والخاصة بهذا الاكتشاف العظيم .**

ـــ اننى أعرف هدف برنامجك .. الثقافة للجميع وسأعمل على تحقيق رغبتك وتبسيط كيفية اكتشافنا للراديوم . فقد كنت انا وبيير نعمل معا فى الجامعة ونستخدم معملا متواضعا للبروفسير (هنرى بيكربل) وذات يوم ونحن بالمعمل ترك هنرى لفافة بها كمية من أملاح اليورانيوم فوق احدى اللوحات الفوتوغرافية فى الظلام واذا باللفافة تترك اثرا مطبوعا فوق اللوح ومن خلال الورق الذى يحوى اليورانيوم وظهر ان هذه المادة تبعث بأشعة من داخلها . لفتت هذه الظاهرة نظر بروفسور هنرى فقام بفحص مادة المزيج الخام الذى يستخرج منه اليورانيوم ولاحظ أن هذه المادة لها تأثيرا فوتوغرافيا أقوى مما يتناسب وكمية اليورانيوم التى يحتوى عليها واستنتج أن المزيج لابد أن يحتوى على عنصر آخر وان تأثير هذا العنصر فى الانطباع على اللوح أقوى من تأثير اليورانيوم وكنت واثقة أن الانطباع الذى حدث على اللوح يرجع الى وجود عنصر (مجهول) .

● **وبعثتما انتوزوجك بالأمر الى العالم الروسى (منديليف) صاحب تقسيم العناصر الكيماتية .**

ـــ فعلا .. وجاء الرد بان مجموعة منديليف من العناصر الكيمائية لا تحتوى عنصرا آخر وعندئذ تركت انا وبيير كل ما بأيدينا من أعمال وشرعنا على الفور نبحث عن هذا العنصر (الغريب) .

● **ان اجراء مثل هـذه التجارب لابد لها من معمل مستكمل المعدات .**

ـــ الحقيقة اننا استخدمنا مخزنا صغيرا فى بدروم مدرسة الطبيعة . لقد كان المخزن بمثابة مغارة رطبة تخزن فيها الأدوات المستهلكة . وكتبنا الى حكومة النمسا التى كانت تملك مناجم خام اليورانيوم فى (سان جواكمستال) ببوهيميا وبعد ايام قليلة وصل الى المعمل طن من هـذا الخام وعلى الفور بدانا عملا جديدا وبحثا مرهقا . كنا نقضى ساعات النهار فى تحريك كتل اليورانيوم الخام فى درجة الغليان بقضيب من حديد .. وفى وسط هذا الجو الخانق والجحيم المستعر استمررنا فى العمل والبحث حتى أصبح طن الخام نصف طن .. ومع الأيام وفى شهر يوليو ١٨٩٨ تمكنا من عزل عنصر جديد تبلغ درجة فاعليته ٣٠٠ ضعف درجة فاعلية اليورانيوم .

● **هل كان هذا العنصر هو الراديوم ؟**

ـــ لا .. فقد اسميته (البولونيوم) قاصدة بذلك ان اخلده مع اسم وطنى .

● **ولكن متى اكتشفت الراديوم ؟**

ـــ بعد خمسة واربعين شهرا من الجهد العنيف والبحث المستمر والدراسة الجادة المتواصلة استطعت ان اتأمل من خلال انبوبة الاختبار حفنة ضئيلة من مسحوق ابيض كثيف يشبه ملح الطعام وتحقق الهدف الكبير وتم اكتشاف الراديوم فى عام ١٩٠٢ وأعلنا نبأ اكتشاف العنصر الجديد الذى تبلغ فاعليته مليونى ضعف فاعلية البورانيوم .

● **لقد كان اكتشافا عظيما واحدث دويا فى العالم كله .**

— لقد انبهر العلماء فى العالم بهذا الاكتشاف العجيب الذى ادى الى علاج الأورام السرطانية وتناقلت اخباره الصحف واجهزة البرق .

● **وبالطبع انهالت عليكما التقديرات المادية .**

— اننا لم نكن ابدا من هواة جمع المال والا لحصلنا باكتشافنا الراديوم على اموال طائلة . ولكن ندرنا نفسينا للعلم والانسانية لذلك قرر (بيير) بالاتفاق معى الا يحصل على أى نفع مادى من اكتشافنا .. فلم نسجله وقد نشرنا نتائج بحوثنا وكذلك تحضير الراديوم .. بل قد تدهش لو عرفت اننا اجبنا طلب كل من يهمه الأمر الى المعلومات التى طلبها خاصا بالراديوم .

● **لقد كنتما انت وزوجك بهذا العمل موضع التقدير والاحترام فتسابقت الدول فى تكريمكما وتقديم المساعدات والامكانيات اللازمة لكما .**

— فعلا .. ففى سويسرا عرض على زوجى مركزا مرموقا فى جامعة جنيف .. انجلترا أرسلت دعوة رسمية من المجمع الملكى لكى نذهب لالقاء محاضرات فى الراديوم وتوالت اللقاءات فى المجالات العلمية والاحتفالات العامة والخاصة لتكريمنا .

● **لقد انهالت عليكما تقديرات الشرف .**

— هذا صحيح .. فقد منحتنا الجمعية الملكية فى لندن ميدالية دايفى وهى ميدالية من الذهب الخالص حفر عليها اسم بيير واسمى .. فزنا بجائزة نوبل السويدية التى حملت الينا

سبعين الف فرنك ذهبا .. اهدت جامعة باريس لزوجي كرسي الطبيعة في السوربون كما عينتني رئيسة قسم الطبيعة في كلية العلوم بجامعة باريس .

● **بعد ان اصبحتما على مسرح الشهرة والفنى هل حققتما السعادة ؟**

ـــ الشهرة .. لقد حولت الشهرة حياتنا الهادئة الى ضيق .. ضيق بكاميرات المصورين .. ضيق بأحاديث الصحفيين ودعوات التكريم وحفلات الاستقبال .. ارجو الا تغفل ايضا ما جرته علينا الشهرة من الحقد والغيرة والحسد من الآخرين وخاصة من كانوا يعملون في حقل تجاربنا وهذه طبيعة البشر .

● **مدام كوري .. في حياة كل منا تواريخ لا نتجاهلها تحمل الينا ذكريات معينة .. ترى هل تذكرين تاريخا معينا فرض نفسه عليك على مدى الأيام ؟**

ـــ الخميس ١٩ ابريل ١٩٠٦ تاريخ يبعث في نفسي الألم والعذاب .. فهو اليوم الذي لقي فيه زوجي بيير كوري مصرعه تحت عجلات عربة تزن ستة اطنان بينما كان خارجا من الكلية يعبر الطريق ساهما زلت قدمه فوق الأرض المبللة ومرت عليه العربة بجيادها فاردته قتيلا في الحال .. لقد كانت وفاته صدمة قاسية لي حتى انني تمنيت أن تحملني احدى العربات التي ترتع في الطريق الى مصيره .

● **كيف تقولين هذا .. اين الايمان والعزاء ؟**

ـــ الحمد لله .. الايمان والعزاء قادني لأن اغرق نفسي

فى انهار ابحاثى حتى تلقيت فى ١٣ مايو ١٩٠٦ قرار مجلس كلية العلوم بتعيينى استاذا فى الكرسى الذى كان يشغله زوجى بجامعه السوربون والذى كان يدير عليه عشرة الاف فرنك سنويا .

● اعتقد ان هذه كانت المرة الاولى فى تاريخ فرنسا التى يعهد فيها الى امراة مركز هام فى التعليم العالى .. ترى هل كنت عند حسن الظن بك ؟

ـــ نعم فقد توليت مكان (بيير العزيز) دروسه وادارة معمله ووضعت نصب عينى أن اتمم أعماله واثبت وجودى وقد كان . انهالت على شهادات التقدير من دكتوراه فخرية وعضوية الأكاديميات الأجنبية ومنحتنى فرنسا وسام (اللجيون دونور) وفى ١٩١٠ نلت جائزة نوبل فى الكيمياء .

● الحقيقة حصولك على جائزة نوبل مرتين بقدر ما هو انتصار كبير للعبقرية بقدر ما هو انتصار عظيم للمراة .

ـــ واليس انتصار للمراة ان يحضر وفد من اساتذة بولونيا وعلمائها يدعوننى للعودة الى بلادى لأتولى مشروع معمل النشاط الاشعاعى وعندما ذهبت الى وارسو لأضع حجر اساس معمد الراديوم احتفلوا بى احتفالا كبيرا .. اليس انتصار للمراة ان تدعونى جامعة برمنجهام لتقدم لى الدكتوراه الفخرية .. اليس انتصار للمراة أن تقدم لى فرنسا ٤٠٠٠٠٠ (اربعمائة الف) فرنكا ذهبيا من الجامعة ومعهد باستير لتاسيس معهد الراديوم فى الشارع الذى اطلق عليه اسم زوجى بيير كورى فى الحى اللاتينى .

● اننا ندرك أن لك سجل شرف يحوى الكثير من الجوائز والاوسمة والالقاب .

ـــ بلا فخر .. عشرة جوائز دولية و ١٦ وسام دولى

و ١٩ دكتوراه فخرية من جامعات مانشيستر وشيكاغو وبنسلفانيا وكولومبيا وغيرها .. ٨٨ عضـوية شرفية فى الكثير من المحافل العلمية فى بريطانيا والمكسيك وجنيف وامريكا وبلجيكا وبولندا وغيرهـا .

● ولـماذا نذهب بعيدا يا مدام كورى لندلل على عظمتك كامرأة عالمـة اثبتت وجودها كنموذج مشرف .. فمازال ماثـل امامنا استقبالك فى امريكا ١٩٢٠ استقبال الفاتحين حيث قدمت لك فى نيويورك الجوائز والميداليات ومفتاح المدينة . وفى واشنطن اقيم لك الاحتفال الكبير الذى قدم لك فيه رئيس الولايات المتحدة (هاردنج) جـرام راديوم يقـدر بمائة الف دولار حتى تتـابعى ابحاثك . لقد قدمه لك فى حضور الدبلوماسيين ورجال القضـاء والجيش واساتذة الجامعات . ترى هل يمكنك يا استاذتنا الجليلة ان تذكرينـا ببعض ما قـاله الرئيس هاردنج فى خطابـه عنـد تكريمه لك ؟

ـــ اذكر انه قال « لقد عهد الى ان اقدم لك هـذا القدر الضئيل من الراديوم ونحن مدينون لك بمعرفتنا له وتملكنـا اياه لذلك نقدمه اليك ونحن واثقون انه وهو فى حيازتك لابد ان يكون وسيلة لتوسـيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس » . وتقدم منى هاردنج ووضـع فى يدى لفافة مربوطة بشريط مثلث الألوان ثم وضع حول عنقى قلادة من الحرير يتدلى منها مفتـاح من الذهب الخالص .. انه مفتاح خزانة جرام الراديوم .. ذلك الكنز الذى يقدر بمـال .

● هل كانت هدية جرام الراديوم من اصدقائك الامريكان فى نهاية المطـاف فى الاحتفالات بك كعالمـة .

ـــ بالطبع لا .. اليس هدية انتخابى عضوا حرا فى اكاديمية

الطب بباريس اعترافا بنصيبى فى اكتشاف الراديوم وفى علاج (الكوريتراى) .. اليس هدية قرار مؤسسة كورى عام ١٩٢٣ الاحتفال بالعيد الفضى لاكتشاف الراديوم وقرارها بالاجماع الموافقة على قانون يقضى بمنحى معاشا سنويا قدره اربعون الف فرنك مكافأة وطنية مع توريثه من بعدى لابنتى (ايرين) و (ايف) .

● **تقصدين ذلك المعاش الذى قدمه مسيو (الكسندر بيليران) رئيس جمهورية فرنسا اليك فى احتفال مهيب حضره الوزراء والعلماء وعمداء الكليات .**

— وقال فيه مسيو (ليون بيرار) وزير المعارف الفرنسى : ان اقتراح هذا القانون واقراره يعد بمثابة تصميم حاد على تجاهل تواضع مدام كورى وعدم الاعتراف بما تمثله من زهد فى المادة .

● **هذا صحيح .. فلقد اكدت ان المجد لا يكترث بالمال.. وان السعادة الحقيقية فيما قدمتيه من بحوث لأجل البشرية تدفعك دائما للمزيد من البحوث كى تظلين على القمة دائما .**

— ان فى العطاء سعادة كبرى ولكن ما آلمنى وعذبنى انه عندما اشتد على المرض فى ديسمبر ١٩٣٣ ووهنت صحتى فى مايو ١٩٣٤ حتى اضطررت على اثر خطورة المرض ان ادخل الى المصحة مرغمة حيث التف حولى الأطباء فى محاولة يائسة لشفائى من داء (الانيميا الخبيثة) .. ولكن ذهبت كل جهودهم ادراج الرياح وفارقت الحياة فى ٤ يوليو ١٩٣٤ .

● **ونحن قرب انتهاء اللقاء فهل لى ان اسالك اى خبر اسعدك بعد وفاتك ؟**

— بالطبع نيل ابنتى (ايرين) جائزة نوبل علم ١٩٣٥

اسعدنى كثيرا فقد شعرت ان هناك استمرار لوجودى .. اليس كذلك ؟

● حقا يا استاذة ((مارى سكلودوفسكى كورى)) او بالأحرى ايتها العالمة الكبيرة (مدام بيير كورى) .. فقد كنت زوجة وفيه واما حنونا وعالمة عظيمة جليلة فحق لنا ان ننشد ما قاله العلامة انيشتين ((ان مدام كورى من بين جميع المشاهير هى وحدها التى لم يفسدها المجد)) . ويسعدنى ان اضيف بأن اسمك سوف يظل تاكيدا للعبقرية وتكريما للعلم وعرفانا بالتضحية والكفاح .. فالعظماء وان طوتهم القبور فهم لا يموتون يا ايتها العزيزة .

((مدام كورى))

● اذاعة لندن ١٩٧٨/١١/١٠ .

رفاعة الطهطاوى

١٨٠١ – ١٨٧٤

رائد النهضة الفكرية والقومية ..

أول من فتح لمصر نافذة تطل منها على الغرب ..

اول من نادى بتعليم المراة وتثقيفها ..

ظل حياته يوزع ثقافته على تلاميذه معلما وفى بطون الكتب مؤلفا ومترجمـا وعلى صفحات الجرائد صحفيا كاتبا .. لقد كاش وفيا لدينه وفيا لوطنه .. وفيا لاهله .. وفيا لبلده أمينا حريصـا على ارتداء الزى الأزهرى حتى فى غربته .

تعالوا بنا نغوص فى اعماق رائد حركة التجديد التربوى والاجتماعى فى مصر .

رفـاعة رافع الطهطـاوى .

● سألته عن مولده وطفولته فأجاب :

ـــ ولدت فى مدينة طهطا فى أكتوبر ١٨٠١ ، وحيد والدى ، أبى هو بدوى بن على بن محمد على بن رافع . يرجع نسبى من ناحية أبى الى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله . ومن ناحية امى فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلى ابى الأنصار الخزرجية . تنقل بى أبى من طهطا الى قنا ثم الى فرشوط وذلك لضيق ذات اليد . خلال تلك الفترة بدأت حفظ القرآن الكريم . ثم عدت الى طهطا بعد أن توفى والدى . وأتممت حفظ القرآن كما أخذت فى تلقى مبادىء العلوم الفقهية فقرأت المتون المتداولة فى ذلك العصر عن أخوالى الشيخ فرج الأنصارى والشيخ عبد الصمد الأنصارى . وأهلنى ذلك للقدوم الى القاهرة لتلقى العلم فى الأزهر .

● على يد من تتلمذت فى الأزهر !

ـــ لقد كان أساتذتى شيوخ أجلاء مثل الشيخ الفضالى الذى قرأت عليه صحيح البخارى ، والشيخ حسن القويسنى الذى رغم كفاف بصره تولى مشيخة الجامع الأزهر لقد قرأت

عليه كتاب جمع الجوامع فى اصول الفقه وكتاب مشارق الأنوار ى الحديث .. والشيخ الدمهوجى شيخ الأزهر درست عليه شرح الأشمونى على الفية ابن مالك .. والشيخ النجارى درست عليه كتب الحكم لابن عطاء الله السكندرى ، وكما درست على يدى الشيخ على عبد الغنى الدمياطى تفسير الجلالين ، كما لازمت الشيخ الباجورى واخذت عنه شرح الأشمونى وتفسير الجلالين ايضا ، ودرست مغنى اللبيب وجمع الجوامع فى الأصول على الشيخ محمد حبيش ، وحضرت شرح ابن عقيل على الشيخ الدمنهورى .

● **من كان اعظم اساتذتك اثرا فى توجيه حياتك ؟**

— الشيخ حسن العطار . لقد اتصلت به منذ أن دخلت الجامع الأزهر . لقد احبنى لما انسه فى من حب العلم فقربنى منه واحاطنى برعايته بل أشركنى معه فى الاطلاع على الكتب العربية التى لم تتداولها أيدى علماء الأزهر . لقد كنت اتردد على بيت سيحنا الموقر لأتلقى عنه التاريخ والجغرافيا والأدب . لقد فتحت محاضراته امامى آفاقا جديدة للبحث والتأمل والتعبير . لقد لفت نظرى تلك الهوامش الجليلة التى كتبها بخطه على كتاب تقويم البلدان لاسماعيل أبى الفداء كما لفت نظرى اطلاعه الدائم على الكتب المعربة وولعه الدائم بسائر المعارف البشرية .. لقد بهر العلماء بما لديه من المعارف ومن تاليف فى الأصول والمنطق والهندسة والطب والتشريح والأدب والنحو .. لقد تولى التدريس بالأزهر كما تولى مشيخة الأزهر . لقد كان محمد على باشا يجله ويعظمه . لقد حاولت أن اقتفى اثر أستاذى الشيخ حسن فاحببت منذ نشأتى العلوم العصرية ومللت الى الأدب وافترقت من مناهله .

● **كم سنة قضيت فى الأزهر ؟**

ـــ قضيت فيه زهاء ثماني سنوات . لم يمنعني فقرى عن الاستمرار فى الدراسة لقد كانت والدتى تنفق على من بيع بعض ما تبقى لها من حلى وعقار . كما كنت استعين على الحياة باعطاء دروس لحسين بك طبوزغلى والقاء بعض الدروس فى مدرسة محمد لاظوغلى التى انشاها فى بيته .

● **يقولون انك كنت مرجعا لأخوانك تحل لهم ما غمض عليهم ، وكان اساتذتك يثقون بفهمك وسلامة ذوقك فسطع نجمك وعلا قدرك .**

ـــ لقد عينت مدرسا بالجامع الأزهر لأكثر من عامين قمت فيهما بتدريس كتب فى الحديث والمنطق والبيان والبديع والعروض .

● **لقد وضحت مقدرتك على التعليم خلال تلك الفترة .**

ـــ تقصد استفادة طلبتى منى ، لما امتزت به من روعة الالقاء وجمال الأسلوب وسهولة العبارة والدقة فى القول والقدرة على الافصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة بحيث يفهم دروسى الكبير والصغير بلا مشقة أو تعب .

● **هل زرت بلدتك طهطا خلال تعلمك بالأزهر ؟**

ـــ لقد كنت دائم الحنين اليها . ازورها من آن لآخر فى العطلات كنت أدرس فى جوامعها .. وفى رمضان كنت أقوم أيضا بالتدريس فى مسجد جدى أبى القاسم حيث يحضر الكثير من

العلماء والأفاضـــل والقى عليهم الدروس فى التفسير مع السهولة فى التعبير . لقد أفدت الكثير من أهل بلدى ومهدت لهم سبيل العلم والدراســة . لقد كانت طهطا وطنى الخصــوصى أتطلع الى أخبــاره السارة ولا أساوى بطهطا الخصيبة ســواها أمنحهــا زمانا بعد زمان الزيارة وأجدد فيها من هبات الحكومة العمارة وأبذل فى محبتها النفيس وأفتخر بها .

● **مهلا يا شيخ رفاعــة ... الجميع يدرك حبك لطهطا وخاصة من قرأ كتابك مقدمة الوطنيــة المصرية الذى جاء فيه « حب الوطن من الايمــان ومن طبع الأحرار احراز الحنين الى الأوطان ومولد الانسان على الهوام محبوب ومنشؤه مألوف له مرغوب ولا شك حرمة وطنها كما لوالدتك حق لبنها والكريم لا يجفو ... وابله ولا تعدى دارا فيها قبائله ... » .**

ـــ قلت فى طهطا الشعر الكثير ، وذكرتها وانــا فى الغربة فى باريس .

● **متى عينت واعظا واماما فى الجيش المصرى ؟**

ـــ فى عام ١٨٢٤ وبناء على ترشيح استاذى الشيخ حسن العطار عينت واعظــا واماما فى الجيش المصرى النظــامى الذى اسسه محمد على باشا ، فعينت أولا فى آلاى حسن بك المناسترلى ثم انتقلت الى آلاى حسن بك المنكلى . ولاشــك أن هذه النقلة قد افادتنى .. فالحياة العسكرية قد أفادتنى بما فيها من احترام للنظام والكفاح فى سبيل الوطن ومواجهة الأخطــار وغرس روح الوطنية والشجاعة والاقدام . لقد انطبعت هذه المعانى فى نفسى ... عشت طول عمرى أكره الظلم محبا لبلادى أبذل فى سبيلها حتى ووقتى وعلمى كما عشت محبا للنظام فى كل عمل توليته ..

● **كيف ومتى سافرت الى باريس ؟**

ـــ اراد محمد على باشا أن يرسل بعثة كبرى الى فرنسا تدرس هناك ما البلاد فى حاجة اليه من حقوق وسياسة وطب وكيمياء وفنون حربية وبحرية وزراعة وميكانيكا ... الخ . وأراد أن يختار لهم من علماء الأزهر من يذكرهم بالدين ويعظهم ويرشدهم ويؤمهم فى الصلاة . فطلب محمد على من الشيخ حسن العطار أن ينتخب من علماء الأزهر اماما للبعثة يرى فيه الأهلية واللباقة. فاختارنى لتلك الوظيفة بصفتى تلميذه وصفيه .

● **معنى ذلك انك لم تكن ضمن المبعوثين .**

ـــ نعم .. فلم أكن مرسلا الى فرنسا بصفتى طالبا وانما كنت اماما للبعثة ولم يكن مطلوبا منى أن أدرس علوم الفرنسيين ونظمهم بل كان يكفينى أن أقوم بالامامة لأعضاء البعثة أعظهم وأرشدهم .. ولكن باب العلم والمعرفة كان مفتوحا امامى فاستثمرت مواهبى فى تعلم اللغة الفرنسية والاطلاع على العلوم والمعارف المختلفة .

● **لقد ذهبت واعظا للبعثة ومع ذلك كنت اكثرهم استفادة منها واكثرهم تاثيرا على مجتمعك بعد عودتكم .**

ـــ هذا حق فمنذ أن غادرت البعثة الاسكندرية على ظهر مركب حربية فرنسية قطعت بنا البحر الأبيض الى مارسيليا فى ثلاثة وثلاثون يوما لم أضيع فيهم وقتا .. بدأت تعلم اللغة الفرنسية وأدرك القائمون على البعثة غيرتى ورغبتى فى التضلع فى دراسة اللغة الفرنسية لذلك قيدونى عضوا فى البعثة لدراسة الترجمة . ومنذ العام الأول لقدمى الى باريس شرعت فى

الترجمة . ولم ينقضي العام حتى توالت ترجماتي لكتب صعبة . بعد عام أديت امتحانا فى اللغة الفرنسية وظفرت بتقدير الذين امتحنوني ومنحت مكافأة . لقد كنت حريصـــا على أن أكتب كل شهر بيانا بجميع ما قرأت وما تعلمت فى هـــذا الشهر ويوقع عليه المعلمون ليبعث به الى « ولى النعم » فى مصر . لقد كنت موضع تقدير الأستاذ « شواليه » الذى تولى أمر تعليمى فى فرنسا .

● **والذى شهد ان غيرة « مسيو الشيخ رفاعة » للقراءة والترجمة حتى ساعة متاخرة من الليل ادت الى ضعف ابصـار عينك اليسرى حتى احتجت الى « الحكيم » الذى نهاك عن مطالعة الليل ولكنك لم تمتثل لخوف تعويق تقدمك .**

ـــ ليس هذا فحسب .. بل لقد رأيت أن أسرع فى تعلمى لذلك لم اكتفى بالكتب المقررة والأساتذة المرشحين لتعليم البعثة فقط ، بل اشتريت الكتب اللازمة لى واتخذت معلما آخر . لقد كلفنى ذلك معظم ماهيتى لأكثر من سنة .

● **ماذا قرأت من الكتب فى باريس ؟**

ـــ لقد قرأت فى شتى الفروع .. درست قواعد اللغـــة الفرنسية من نحو ومنطق واملاء وانشـــاء وقراءة . درست فى التاريخ فقرأت كتاب سير الفلاسفة وكتابا مختصرا فى التـــاريخ العـــام عن قدمـــاء المصريين والعراقيين واهـــل الشـــام والعجم والهنود .. قرأت كتاب لطائف التاريخ يشمل قصص وحكايات ونوادر وكتاب سيد أخلاق الأمم وعوائدهم وادابهم .. وكتابا عن نهضة الدولة الرومانية وانقراضها وسيرة نابليون .. قرأت فى لحساب والهندسة .. قرأت فى المعادن .. قرأت فى كتب الأدب فولتير وراســـين وروسو .. قرأت فى السياســـة عن الحقوق

الطبيعية وروح الشرائع لمنتسكيو والاجتماع الانساني لروسو .. قرأت في فن الطبيعة وفن العسكرية .. قرأت في الفلسفة وتاريخ الفلاسفة .. قرأت كثيرا في المقامات الفرنسية والمجلات العلمية اليومية والشهرية وصحف الأخبار .

● **ما الذي استفدته من تعمقك في اللغة الفرنسية ؟**

ـــ لقد مكنني ذلك من عقد الموازنات بينها وبين اللغة العربية حينا ؛ وبين ادبيهما وبلاغتيهما قواعدهما حينا آخر . لقد كانت ثقافتي موسوعية جامعة .

● **ما الذي اعجبك في فرنسا ؟**

ـــ النظافة وحسن عاداتهم في تناول الطعام على الموائد والنوم على الأسرة .. اعجبني ثباتهم على مبادئهم وعدم اهمالهم اشغالهم ابدا .. حرصهم على الأموال .. انشاء الملاجىء وجمعيات الاحسان وعدم ميلهم للاحسان الفردي . وان اكثر ما اعجبني في الفرنساويين توخيهم للعدل في حكومتهم وتمسكهم بالقوانين وتقززهم من الظلم والتشفي . ومن اهم ما امجده في فرنسا نظمها السياسية القائمة على مبادىء الدستور وكذلك عنايتهم الكبرى بالعلم والمكتبات وقراءة الكتب والجرائد .

● **هل انتقدت الفرنسيين ؟**

ـــ لقد انتقدت الكثير من اخلاقهم وعوائدهم وعقائدهم التي لا يمكنني ان أقرها أو ارضى بها كعالم ديني اسلامي .. فقد تعرضت لعلاقة المرأة الباريسية في علاقتها مع الرجل .. وانتقدت نظرة المجتمع الفرنسي لهذه العلاقة وقلت ان باريس

كباقى مدن فرنسا وبلاد الأفرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والاختلالات » كما قلت « ومن عقائدهم القبيحة أن عقول حكمائهم وطبائعهم أعظم من عقول الأنبياء وأذكى منها ولهم الكثير من العقائد الشنيعة كأفكار بعضهم فى القضاء والقدر ».

● **ماذا كان من نصيب الشيخ رفاعة من تحرر باريس ؟**

— الحقيقة التى يجب أن يدركها جيلكم اننى أخذت لنفسى بسلوك الأزهرى المتدين الفاهم لواجبه المحافظ على كرامته . فقد كنت أؤدى الفرائض والسنن ولم آكل مما لم يذكر اسم الله عليه وواظبت على تلاوة القرآن . لقد كان تدينى سببا فى استقامتى وحسن أخلاقى فأحبنى معاشرى وساعدونى . وحمدا لله فقد شهد بذلك أستاذى « شواليه » حيث قال : « لم أر منه الا أسباب الرضا سواء فى تعلمه أو فى سلوكه المملوء من الحكمة والاحتراس وحسن خلق ولين عريكته » .

● **هل كان لدراستك الأزهرية أثرها فيما درست وقرأت وترجمت ؟**

— بكل تأكيد . لقد كان اتقانى وتعمقى فى دراسة اللغة العربية وادابها واتقانها بالأزهر سببا فى أن وجهنى المشرفون على البعثة لدراسة اللغة الفرنسية واتقانها ودراسة فن الترجمة حتى استطيع أن أؤدى نصيبى فى الاسهام فى النهضة العلمية والفكرية اذا عدت الى مصر . وكذلك بفضل دراستى الأزهرية العميقة الحرة المتعلقةبحثا وراء الأسباب والعاملة علىربط الأسباب بمسبباتها تربت لدى قوة الملاحظة . فانتهزت فرصة وجودى

بباريس وامعنت النظر وتغلغلت فى الحياة الفرنسية من جميع نواحيها سياسية وعلمية واجتماعية . فدرست الحياة العلمية الفرنسية وعرفت المدارس الفرنسية ومجامع العلماء فى باريس واثرها فى الحياة الفكرية . كما تكلمت عن المكتبات واثرها .

● لقد شاهدت فى باريس المعركة التى انتصر فيها « شامبليون » على خصومه بعد ان كشف اسرار الهيروغليفية ، وعاصرت قيام شامبليون بتنظيم قسم الآثار المصرية فى متحف اللوفر بفرنسا .. ترى هل كان لهذا اثره فى فهمك قيمة هذه الآثار ؟

— بالطبع .. لقد دفعنى ذلك للاحتجاج على اهداء « محمد على باشا » حكومة فرنسا باحدى مسلاتنا . لقد قلت « حيث ان مصر اخذت الآن فى اسباب التمدن والتعلم على منوال بلاد أوروبا فهى اولى واحق بما تركة لها سلفها من انواع الزينة والصناعة وسلبه عنها شيئا بعد شىء بعد عند اربلب العقول من اختلاس حلى الغير للتحلى بها فهو أشبه بالغصب ».

● وما كدت تعود الى مصر حتى قدمت الى محمد على باشا مشروعك الجرىء لحماية الآثار والذى صدر فى الوقائع سنة ١٨٣٥ ونص على ان تسلم لمدير مدرسة الالسن جميع الآثار التى يجدها الأفراد .

— وقد كان هذا بداية تأسيس اول متحف مصرى بالقاهرة مكانه فى فناء مدرسة الألسن .. وهذا من اعمالى المنسية .

● متى عدت من فرنسا الى مصر ؟

— فى أواخر عام ١٨٣١ . وعند وصولى الى الاسكندرية

حظيت بمقابلة « ابراهيم باشا » وسألته عن أهلى بطهطا وكان له معرفة بهم . ولما وصلت الى القاهرة سعدت بمقابلة محمد على باشا الذى شجعنى وعطف على . لقد استقبلنى العلماء أحسن استقبال .

● **حتى أنك تحدثت فى رسالة لك الى (جومار) عن هذا الاستقبال وعن قراءة شيخ الاسلام لرسالتك فى وصف رحلتك وعن عزم الشيخ على رجاء الوالى ان يطبع الرسالة ويحبب الى المسلمين التغرب فى طلب العلم من اجل منفعة بنى وطنهم .**

— لقد كنت أرى ان النهضة العلمية فى مصر يجب ان يكون من أسسها ترجمة العلوم ونقل المعارف .. لقد صممت أن أخدم بلادى بترجمة كتب الجغرافيا والتاريخ .

● **ما هى الكتب التى ترجمتها اثناء اقامتك فى فرنسا ؟**

— لقد ترجمت خلال الأعوام الخمس فى فرنسا اثنى عشر مترجما منها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم .. لقد ترجمت كتاب أصول المعادن .. دائرة العلوم فى اخلاق الأمم وعوائدهم .. مقدمة جغرافيا طبيعية .. أصول الحقوق الطبيعية التى يعتبرها الفرنج أصلا لأحكامهم .. نبذة فى تاريخ الاسكندر الأكبر .. تقويم سنة ١٢٤٤ من الهجرة الذى الفه الأستاذ جومار لمصر والشام متضمنا شذرات علمية .. ترجمت قطعة من كتاب ملطبرون ونبذة من الميثولوجيا واعنى بها جاهلية اليونان وخرافاتهم .. هذا ما ترجمته وانا فى باريس .. اما ترجماتى فى مصر ...

● **شيخنا الوقر رفاعة .. ان مؤلفاتك وترجماتك كثيرة**

ويعوزنا الوقت لتناولها بالشرح واحدة واحدة فهل نطمع فى تقديمها لنا مجملة ؟

— مؤلفاتى هى : انوار توفيق الخليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل ولم يطبع منه غير الجزء الأول فى تاريخ مصر القديم حتى الفتح العربى .. بداية القدماء وهداية الحكماء وقد تناول تاريخ الشرق القديم .. تاريخ قدماء المصريين التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية ، تخليص الابريز فى تلخيص باريز الذى ضمنته أخبار رحلتى ومشاهداتى واختياراتى فى باريس .. تعريب القانون المدنى الفرنسى فى جزءين .. التعريبات الشافية لمريد الجغرافية وهو منقول عن جغرافية ملطبرون .. تعريب الجزء الأول والثالث من الجغرافية العمومية الموسعة للطبرون .. حبال الأجرومية .. قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر وهو جزآن اولهما فى اخلاق اوروبا وسكانها والثانى معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية .. رسالة المعادن .. المرشد الأمين للبنات والبنين .. القول السديد فى الاجتهاد والتقليد .. الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار وهو مختصر فى الجغرافية .. كتاب قدماء الفلاسفة الكواكب النيرة فى ليالى أفراح العزيز المقمرة وهى مجموعة تهانى للخديو توفيق .. كتاب مبادىء الهندسة (معرب) .. المعادن النافعة لتدبير معايش الخلايق (معرب) .. مقدمة وطنية مصرية .. مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية وهو وصف لحال مصر وتاريخها وعلومها وحكومتها واحوالها العامة .. المنطق وقد عربته عن كتاب دومارسيس .. كما عربت كتاب مواقع الأفلاك فى أخبار تليماك لفنيلون وقد ترجمته وأنا فى السودان .. ترجمت قصيدة نظم العقود فى نظم العود .. ونهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز وهى سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

● **هل لك ان تحدثنا عن النظم الادارية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كما اوضحتها في ذلك الفصل الممتع من كتابك نهاية الايجاز**

ـــ لقد كتبت عن البذور الأولى للادارة الاسلامية ، وصورت الحكومة الاسلامية الأولى . فالامامة العظمى بالأصالة هى منصب رسول الله وهى استحقاق التصرف العام على المسلمين فى امور الدين والدنيا . أما معاونو الرسول وهم اشبه ما يكون الوزراء فقد ورد فى الحديث الشريف : وزيراى من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراى من أهل الأرض أبو بكر وعمر . أما الحجابة له صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن أنس بن مالك كان حاجبه . وكان الرسول الأمين شديد الاحتياج الى الكتابة فكان من كتاب الوحى له عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومن كتاب الوحى وكتاب الرسائل والاقطاع ابى بن كعب الأنصارى وزيد بن ثابت وعبد الله الأرقم الزهرى ، فكان هؤلاء يكتبون له الوحى كما يكتبون الى أمراء الأجناد والملوك أو الى انسان باقطاع . واما العهود والمصالحات فكان كاتبه فيهما على بن ابى طالب . كما استعمل رسول الله اناسا فى أعمال فقهية كتعليم القرآن فقد ارسل مصعب ابن عمير الى المدينة يعلم اهلها القرآن ، ومعاذ بن جبل الى مكة يفقه الناس فى الدين ويعلمهم القرآن . وكتعليم الكتابة وممن كان يعلمها عبد الله بن سعيد بن العاصى أمره رسول الله أن يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتبا محسنا .

● **وماذا عن الافتاء وامامة الصلاة ؟**

ـــ من الأعمال الفقهية تعليم الفقه فى الدين ووظيفة الافتاء وقد ارسل رسول الله رسله الى الجهات المختلفة لتعليم الفقه فى الدين وممن كان يفتى على عهد رسول الله ابو بكر وعمر وعثمان

وعلى وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبى بن كعب . كما كان من أشرف الأعمال الفقهية امامة الصلاة ولهذا نص العلماء ان السلطان احق بالامامة فى الصلاة الا ان يأذن لغيره فى ذلك وكان اذا بعث أميرا كانت الصلاة اليه وقد استخلف ابا بكر الصديق ليصلى بالناس فى مرض موته . ويعوزنا الوقت كى اوضح من استخدمهم الرسول رسلا يكتبه الى الملوك او يدعون الناس الى الاسلام او يحملون الصلح والأمان .

● **لقد امر رسول الله بكتابة الناس فى الجيش فكتبوا فى عصره .**

— وتولى حذيفة بن اليمان كتابة الجيش لرسول الله ، وبعث رسول الله امراء كثيرين لولاية الجهات . فامر على مكة عتاب بن اسيد وعلى اليمن باذان . كما قلد القضاء عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب ومعاذ بن جبل . لقد وضع رسول الله اصول الحسبة واستعمل على سوق مكة بعد الفتح سعيد بن سعيد بن العاص . اما صاحب العسس فى المدينة فقد كان ذلك أيضا فى عهد النبى وكان السجن موجوداً منذ عهد الرسول الكريم .

● **لقد كان رسول الله يبعث بالأمراء للجهاد فى سراياه .**

— وكانت سراياه كثيرة .. والسرية قطعة من الجيش وكان رسول الله يعقد الرايات لأمراء البعوث والسرايا وكان الجيش يقسم فى عهده خمسة اقسام مقدمة وميمنة وميسرة وقلبا وساقة. وكان لكل من هذه الخمسة رئيس يسمى صاحبا . واعد رسول الله الخيل فى سبيل الله ونظر عليها من يحفظها كما كان يضع على مغانم الحرب صاحبا مثل كعب بن عمرو بن زيد الأنصارى وابى سفيان بن حرب .

● **لقد استخدم رسول الله عمالا يجمعون الجزية والزكاة .**

— منهم عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص وابى بن كعب كما كان يبعث مستوفيا يقبض المال من العمال . كما بعث عليا الى اليمن ليستوفى من خالد بن الوليد .

● **وماذا عن بيت المال ؟**

— لم يتخذ رسول الله بيت مال ولا خزانة للنقد وانما كان يعجل قسم ما آتاه من الفيء فى يومه . كل هذا أوضحته فى كتابى « نهاية الايجاز » .. وبدات بنشره ملحقا بمجلة روضة المدارس ولكننى توفيت قبل أن يتم طبعه وتركت الباقى من الكتاب مسودات قام عليها من بعدى ولدى على الذى ارجو أن يكون قد قدمه بما يليق بالسيرة النبوية العطرة .

● **كيف لا يا شيخنا الوقر وقد تتبعت فى هذا الكتاب حياة الرسول الكريم منذ مولده الى وفاته . فرويت قصة حياته طفلا ويافعا ورجلا وكهلا .. كيف لا وقد جمعت الأقوال المختلفة المبعثرة فى كتب السيرة الأخرى ونظمتها نظاما جديدا وكتبت منها بحثك الجديد لتبرهن على أن أسس الحكومة الاسلامية بفروعها المختلفة وضعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم .**

— ان ما كتبته فى سيرة الرسول أو نظم الحكم الاسلامية جه عام من الواجب أن يلتفت اليه دارسو التاريخ الاسلامى بفيدوا منه .

● **هل يمكننا أن نتعرف على أهم أفكارك وآثارك فى مؤلفاتك يا رائد الفكر العربى ؟**

ـــ ان مؤلفاتى تتسم بالشمولية. .شيمولية النظرة والاحاطة بالظواهر الاجتماعية والسياسية فى مختلف جوانبها . كما تتسم بالجمع بين النظر والعمل . وبين الفكر والخبرة الواقعية الأمر الذى أضفى على فكرى صفة الارتباط بالواقع . لقد جمعت بين أرضية التراث الاسلامى والتعرف على العلوم العصرية الحديثة . ومن خلال كتاباتى اعتقد أننى قدمت منهجا فى طرح المشاكل وحلولها واعتقد انكم فى حاجة اليوم لأن تتذكروه وتتمثلوه .

● **من واقع كتاباتك احترمت العقل كأداة لحل مشاكل المجتمع .**

ـــ نعم فقد كتبت فى المرشد الأمين « ان الله قد كرم الانسان وزينه بالعقل الذى يميز بين الحسن والقبيح والضار والنافع والخطأ والصواب » وتأسيسا على احترام العقل والمنهج العقلى فى التفكير تأملت فى ظواهر المجتمع المختلفة وسعيت للكشف عن أسبابها وبواعثها . والنواميس الطبيعية التى تحكم حركة المجتمع وسلوك الانسان ولكن يبقى هذا الاعتماد على العقل فى اطار الدين والشرع . كما ربط بين المفاهيم الحديثة والأصول الاسلامية فقلت « ان ما يسمونه فى أوروبا بالحقوق والأحكام المدنية هو ما نعرفه باسم فروع الفقه وما نسميه نحن بالعدل والاحسان يلقبونه بالحرية والمساواة » .

● **ووفقا لهذا التصور عبرت كتاباتك عن فهم مستنير للحضارة الأوروبية فانت لم تسارع برفضها ولا بقبولها دون تمحيص ، وقد دعوت للتفاعل مع الحضارة الأوروبية والأخذ عنها**

فيما لا يتعارض مع القيم وقد جاء ذلك فى كتابك مناهج الألبـاب حيث قلت : « وان مخالطـة الأغراب لاسيما اذا كانوا من اولى الألباب تجلب للأوطان من المنافـع العمومية العجاب » اما الذين يرفضـون اقتبـاس العـلوم الأجنبيـة عن اوروبا فانـك قـد وصفتهم بانهم « واهمون لأن الحضارة دورات واطوار وهـذه العلوم قد كانت اسلامية عندما كنا نعيش بمصر نهضتنا فاخذتها عنا اوروبا وطورتها » .

ـــ لقد كانت المنافع العمومية محور افكارى قاصـدا بها التقدم فى الزراعة والصناعة والتجارة .

● **هل لك يا شيخنا أن تعطينا فكرة عما كانت عليه المرأة قبل مطالبتك بتعليمها ؟**

ـــ لقد كانت المرأة شيئا مهملا فى مختلف الطبقات لا وظيفة لها ولا مشاركة فى الحياة خارج بيتها ، تقوم على خدمة رجلهـا وخدمة ولده وضيفه . أما فى مجالات العمل والعلم فلا ينبغى أن يذكر حتى اسمها ذكرا خارج اسوار الحريم . كانت المرأة من الطبقـة المتوسـطة سجينة بيتها لا تـكاد ترى من نور الطريق الا ما تتطلع اليه خلسـة من خـلال النوافـذ الضيقـة وخروق المشربيات . وعار على البنت أن تمد بصرها على هذا النحو أو تقترب من منافذ تطل على جار أو طريق . وليس لها رأى فى أن تتزوج أو فيمن يكون زوجهـا وشريك عمرها وأبا أولادها . فهى بذلك أسيرة حبس يحيط بها من كل جانب فى الاجتمـاع والرأى والتفكير جميعا . وكانت المرأة من الطبقات العالية تستطيع أن ترى ضوء الطريق ولكن من خلال حجاب ضيق يضرب بجرانه على جسمها بالملاءة السوداء وعلى رأسها بالغطاء وعلى وجهها بالبرقع الأبيض . بينما نسوة الطبقة الفقيرة يكشفن عن وجوههن استجابة لدواعى

العمل ومشاركة الزوج فيه وسعيا وراء لقمة العيش الغائصة في تراب الحرمان وشظف العيش بلفها الجهل المطبق وسوء التغذية والوان من الحشرات والجراثيم والميكروبات فتاكة . هذا ما فتحت عليه عيناى منذ صباى .

● **لقد كنت أول صيحة فى تعليم المراة العربية الحديثة وتحريرها فهل لنا ان نعرف رايك فى المراة ؟**

ـــ المراة من أجمل صنع الله القدير ، قرينة الرجل فى الخلقة والمعينة له فى تدبير امره والحافظة لأطفاله والساهرة على العناية بتدبير امورهم والماسحة بيدها همومهم وآلامهم . والمراة تمتاز عن الرجل بجسم الين والطف شكلا لا يؤهلها لأن تشاركه الاشغال الشاقة كالحرث والحرب . وبنية جسمها على الرقة واللين توجب كونها الطف من الرجل طبعا وارق حاشية ولهذه البنية الرقيقة ايضا كان من صفاتها الشفقة والرحمة والعطف والحنان والرفق واللين وكان عندها استعداد لأن تتنزه عن عوائد الرجال الخشنة كالغضب والحقد والبغضاء والشقاق وانما اعظم ما فيهن الغيرة التى لا تكاد تخلو منها واحدة .

كذلك من رايى فى المراة انها اعتاضت عن بنيتها الضعيفة بقوة عقلها وحدة احساسها وادراكها وذلك مما يسد فى بعض الأحيان مسد المعارف التى تجهلها وتجعل حياة الأسرة مقبولة محتملة . لقد كتبت ان تعلم الأدب حسن فى الرجال والنساء جميعا ولكنه فى النساء أحسن لما فيهن من الرقة الطبيعية والمحاسن المعنوية . لقد قررت فى كتابى المرشد الأمين ما للمراة من الأثر فى دفع الرجل الى العلا وتطلعه الى المجد وتمسكه بمكارم الأخلاق . لقد قررت كذلك ما منحته المراة من قوة تأثرها بما يحصل للرجل من فرح ونجاح والم ونكبة وتلك القوة غريزية فيها وهى من أجل

ذلك تقتسم مع الرجل السعادة والشقاء واليسر والعسر ويشعر الرجل عند الضيق بعطف المراة وكانها بهذا الخلق الحميد نفس ملكية ملهمة بالألطاف الخفية كما خصها الله بمتاعب المعاش ومباشرة فراش المرضى من الأزواج والأولاد وغيرهم . وتخفيف الآلام والأسقام وجعل لها مقدرة على اخفاء التأثرات الوجدانية وهى تقدر فى ذلك على ما يعجز صناديد الرجال عن الصبر عليه . ولما كانت المراة مخلوقة للرجل وجب عليها منذ الصغر أن تتمرن على تحمل أعبائه وأثقاله وأن تكون مستعدة للصفح عن خطله فتسلك معه مسلك الحلم واللين والرقة فذلك أعود عليها بالمنفعة من سوء الخلق والعناد .

● **يقال انك أول من نادى بتحرير المراة من ربقة الجهل**

ـــ نعم فقد دعوت الى أن تنال الفتاة حظها من العلم كما ينال الفتى ودعمت رايى بأمور منها أن للتعليم اثر قوى فى اسعاد بيت الزوجية وحسن معاشرة الأزواج فالتعلم يخلق التناسب والتجانس بين الزوجين ويجعل المراة اهلا لمشاركة الرجل فى الكلام وتبادل الرأى ويبعدها عن سخف العقل والطيش الذى ينتج من معاشرة المراة الجاهلة لامراة مثلها وأن حصول المراة على العلوم والمعارف وثقافتها الممتازة أجمل صفات الكمال وارفع قدرا عند الرجل من الجمال .

● **كما دعمت رايك بان اداب الفتاة ومعارفها تؤثر كثيرا على اخلاق أولادها ودللت على ذلك بابنتها الصغيرة اذا رات امها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط أمور البيت والاشتغال بتربية الأولاد احبت أن تقلدها فى ذلك على عكس ما اذا رأتها مقبلة على زينتها وتبرجها واضاعة وقتها فى هذر الكلام والزيارات التى لا فائدة منها فان البنت تشب مضياعة لوقتها منصرفة عن النهوض ببيتها .**

ـــ ليس هذا فحسب فالعلم يهيء للمرأة سبيل العمل فتتعاطى من الأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها اذا دفعتها الحال الى ذلك وهذا من شأنه أن يشغلها عن البطالة . فان المرأة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها ويشتغل لسانها بالأباطيل وقلبها بالأهواء .

● هل كانت دعوتك الى تحرير المرأة من الجهل قد بدأت بعد تأليف كتابك المرشد الأمين ؟

ـــ لقد كنت عضوا فى مجلس ديوان المدارس وهذا المجلس قدر ما لتعليم المرأة من الفضل فى النهوض بالمجتمع المصرى فاقترح ادخال تعليم البنات فى مصر .

● لكن هذا الاقتراح لم يخرج الى حيز العمل فى عهد محمد على لأن المجتمع المصرى لم يكن يألف يومئذ تعليم البنات فى المدارس فاكتفى محمد على باشا بمدرسة الولادة .

ـــ لقد استطعت أن أضع اللبنة الأولى فى تعليم المرأة حين ظهرت الى حيز الوجود مدرسة القوابل عام ١٨٤٢ تتعلم فيه المرأة فن العلاج النسوى والتوليد وكان لهن فى هذا المجال مستشفى يحظين فيه بالدراسة العلمية والتمرين .

● وعلى الرغم من وسائل التشجيع التى اتخذت لدفع النساء الى دخول هذه المدرسة بان تمنح المتخرجة فيها رتبة بكباشى وأن يكون لها حرية الدخول الى قصور الوجوه والعظماء فان المواطنات صرفن عنها لأسباب تتعلق بتقاليد العصر .

ـــ وكان جل طالبات المدرسة من الجوارى الحبشيات

وبذلك اصطدمت فكرة تعليم المرأة بأسوار التقاليد العالية وكانت هذه الأسوار مع علوها قوية ايضا .

● **هل هناك فروق جوهرية فى دعوتك للنهوض بالمرأة وبين قاسم أمين ؟**

— عندما دعوت الى النهوض بالمرأة وقفت عند حد تعليمها، أما قاسم امين فقد طلب بالاضافة الى تعليمها ان يكون لها من الحرية ما للرجل فلها كما له أن تختلط بمن تشاء . كما طالب بتخفيف الحجاب ورده الى الاحكام الشرعية الاسلامية التى اباحت للمرأة كشف وجهها وكفيها ولم أتعرض انا لحجاب المرأة ولم أدع الى ازالته وان كنت ارى أن عفة النساء لا تأتى فى كشفهن أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة . والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين . لقد شن قاسم أمين حربا شعواء ضد تعدد الزجات فلم يجزه الا فى حالة الضرورة اما فى غيرها فهو حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية . أما أنا فقد كان موقفى اجازة التعدد بشرط العدل بين الزوجات ، وان كنت افضل الاقتصار على واحدة اذا لم تدع الحاجة الى غيرها وقد أوحيت بما سردته من قصص فى هذا الخصوص بشقاء من يؤثر تعدد الزوجات . لقد تعرض قاسم أمين للطلاق واقترح نظاما يحد من سوء استخدامه حتى لا تتعرض الأسرة وافرادها للانهيار والتشرد ، ولم اتعرض انا للطلاق .

● **معنى ذلك ان دعوتك لتعليم المرأة كانت دعوة محدودة يراد بها اسعاد الأسرة اما دعوة قاسم امين كانت دعوة شاملة يراد بها انهاض المرأة ورفع مستواها الاجتماعى تمهيدا للمساواة التامة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية . لقد كانت دعوة**

قاسم امين تجديدية شاملة يراد بها نقل المراة من حيـاة راكدة الفتها والفها الشعب الى حياة عاملة مشاركة بجدة وكان دعوتـه الى التحرر من الحجاب والى حرية المراة والى تعديل نظم الزواج والطلاق ما اثار عليه كثيرا من نفوس المحافظين الذين قابلوا دعوته بالغضب والضجة . ترى يا شيخنا الموقر بعد ان طلبت مسـاواة المراة بالرجـل فى التعليم فهل سـاويت بينهـا وبين الرجـل فى الوظـائف ؟

ـــ انا اوافق الجمهور الذى لا يرى تولى المراة السـلطنة والملك والخلافة فهذه خصائص الرجال .

● **قبل ان يفكر اسماعيل باشا فى انشاء مدارس البنات.. هل دعوت أولياء امور الفتيات الى تعليمهم ؟**

ـــ نعم لقد طلبت تعليمهم ما يليق بهن من القراءة وامور الدين وكل ما ينفعهن من خياطة وتطريز فان سمحت ظروف المراة ان تتعلم فلتنل حظها من العلم كالفتى وقد اوضحت ذلك صراحة فى المرشد الأمين .

● **ان ما يؤخذ عليك رفاعة بك انك لم تؤلف كتابا عن المراة كموضوع بل ذكرتها فى كتاب الرحلة كما ذكرتها فى كتاب كنت ترشد فيه المربين فى التربيـة او المعلمين فى المدارس . وكذلك يؤخذ عليك ان المراة عندك لا تتراءى لك « أما » .**

ـــ وانما كنت اراها مخلوقا جميلا وزوجا وفية .

● **ممن تزوجت ومتى ؟**

ـــ بعد عودتى من فرنسا تزوجت بكريمـة خالى الشيخ

محمد الأنصارى وأنجبت منهـا غير الاناث ابنين جليلين همـا على فهمى باشا ، وبدوى فهمى بك . وكانا قد لازما الأزهر ودرسا العلوم العربية والحديث والتفسير والتاريخ والجغرافيا وبرعا فى فنون الأدب . وسافر (على) فى بعثة ولمـا عاد عين مدرسا للانشاء بمدرسة الألسن ومحررا بمجلة روضـة المدارس تحت اشرافى . وبعد وفاتى تدرج بالوظـائف ناظر قلم الروضـة والمطبوعـات وناظرا لدار العلوم ووكيلا لديوان المكاتب الأهلية ثم وكيلا لناظر المعارف وأنعم عليه بالباشوية . أما ولدى بدوى بك فقد أتم الدراسة بالمدرسة الحربيـة وارتقى الى رتبة اليوزباشى وعين لمعاونتى فى قلم الترجمة الذى انشىء فى عهد اسماعيل وآثر الاقامة فى طهطا ليرعى الأملاك .

● **ما أثر نزعتك الى الحرية فى تربية أولادك الاستقلالية ؟**

ـــ لقد انشأتهم على الثقة بانفسهم . لقد فوضت ولدى بدوى فى ادارة منزلى واطيانى فى طهطا مع أننى كنت فى أتم صحة وأشغل أعلى مركز علمى فى البـلاد لقد قلت له « أنتم مثلنا سواء بسـواء فى الأوامر والنواهى » . كان ذلك فى عهـد استحكم فيه الاستبداد حتى بين الأب وأولاده فقد كان عيبا أن يجلس الابن ولو كان رجلا فى مجلس ابيه أو يشاركه مائدة الطعام .

● **ماذا كتبت لابنك على فهمى عندما كان موظفا بديوان المعارف وارسل اليك وانت ناظر لقلم الترجمـة واعضاء قومسيون المدارس يطلب منك زيادة فى راتبه .**

ـــ لقد كتبت اليه ان الزيادة صرف عنها النظر كسـائر الزيادات المستجدة أخيرا وابقى الأصـل والزيـادة مرهونـة بأوقاتها .. وهكذا كنت اعامل ابنى وهو مرؤوس لى فى قت كان

الحكام يغدقون المرتبات والزيادات والخيرات على اقاربهم ومحاسيبهم دون ما حسيب أو رقيب .

● **الا حدثتنا عن زوجك ؟**

— لقد كانت تمزج لوعة الأشواق الى غيرة الأزواج .. لقد احسست منها بعض ما استشعرته من ذلك فكتبت لها كتابا فريدا اكدت لها فيه ولائى لها وانني لا ادين الا بمبدأ الزوجة الواحدة وانني حافظ للود على القرب والبعد .

● **ماذا عن جواريك البيض والسمر ؟**

— كن يعملن فى دارى عمل الوصيفات والخادمات لم يتعدين هذه الحدود حتى ماتت زوجتى فتزوجت احداهن فكانت تسهر على راحتى وانا اقرأ او اكتب طوال الليل ، انا على حشية على الأرض وهى على سرير بجوارى ابيت اشتغل طول الليل وادخن طول الليل .

● **ترى هل كان نومك على حشية على الأرض من خشية احتراق الفراش ؟**

— ولم لا تقول ان تركى السرير لزوجتى ليدل على مبلغ ما لها عندى من تقدير واحترام .

● **هل كانت امك راضية عن سفرك لفرنسا ؟**

— لم تكن راضية مطلقا ، وانها اغلقت عليها الباب طول مدة الغياب وانه عند رجوعى اخذت انبئها بعودتى واقنعها بشخصيتى حتى فتحت لى غير مصدقة وفتحت لى قلبها واحتضنتنى بحنين .

● **ما هى الوظائف التى تقلدتها بعد عودتك من البعثة ؟**

ـــ لقد اشتغلت فى مجال الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية فى مدرسة الطب بأبى زعبل ثم انتقلت الى مدرسة الطوبجية (المدفعية) وعينت ناظرا لمدرسة الألسن كما عهد لى بتنظيم جريدة الوقائع المصرية والاشراف على تحريرها . وبعد أن أغلق عباس باشا مدرسة الألسن أبعدنى عن مصر لأتولى نظارة مدرسة ابتدائية بالسودان غير أن عباس مات فجأة وتولى سعيد الحكم وأصدر أمره بعودتى الى مصر . وتوليت مناصب عديدة من اهمها نظارة المدرسة الحربية فى القلعة ونظارة قلم الترجمة . وفى عام ١٨٦٠ الغيت هذه المدارس كما الغى قلم الترجمة وظللت بغير منصب الى عهد اسماعيل فاعيد قلم الترجمة ورأسته وكان لى فضل طبع طائفة من أمهات الكتب كتفسير الفخر الرازى وخزانة الأدب والمقامات الحريرية كما عهد الى بتعريب قانون نابليون لاصلاح النظام القضائى وفى عام ١٨٧٠ أنشأ على باشا مبارك مجلة روضة المدارس فتوليتها وباشرت تحريرها مع ابنى على فهمى حتى وفاتى .

● **ما هى الرتب التى أنعم بها عليك ؟**

ـــ كنت وانا فى البعثة بباريس برتبة يوزباشى ، ولما عدت أنعم على محمد على باشا برتبة صاغ قول اغاس ، وأنا بمدرسة طره ، ورقيت الى رتبة بكباشى ثم نلت رتبة أميرالاى واصبح اسمى رفاعة بك . لقد كان آخر ما ظفرت به من الألقاب رتبة المتمايز وقد أنعم بها على سعيد باشا .

● **لم لم تظفر برتبة الباشوية مع مالك من مكانة علمية سامية ؟**

ـــ لأن آخر المناصب التى شغلتها فى عهد اسماعيل باشا

لم تكن متناسبة مع هذا اللقب الرفيع ، كما أننى كنت اتصف بالاباء والشمم وهذه الصفات على كونها من اسمى الفضائل فهى ليست محببة الى الرؤساء والولاة ولا ترغبهم كثيرا فى اصحابها ولا تميل بهم الى اسناد المناصب الرفيعة اليهم . وعلى كل حال لم يكن يهمنى سوى الانصراف لتادية رسالتى وهى التاليف ونقل الثقافة الغربية الى العربية .

● **بالرغم من انك لم تكن وزيرا ولم تمنح الباشوية الا انه كان لديك ثروة فمن اين لك هذا ؟**

— بعد أن قدمت الى محمد على مجلدا عربته من جغرافية ملطبرون منحنى عطاء مالى ومائتان وخمسون فدانا ببلدتى طهطا . واقطعنى ابراهيم باشا حديقة نادرة المثال على مساحة ستة وثلاثين فدانا فى (الخانقاه) ولم يمنحنى عباس شيئا اما سعيد فقد انعم على بمائتى فدان واسماعيل بمائتين وخمسين فدانا .

● **من المؤكد ان هذه المنح كانت ترجمة عملية للاعجاب بعملك ومكافاة على ما بذلت لنفع وطنك وحتى تتفرغ للعمل فى التاليف والترجمة والا يشغلك عنها امر تدبير عيشك .. ومع ذلك لم تكتفى بما انعم به عليك الولاة واشتريت تسعمائة فدانا .**

— بلغ جميع ما فى ملكى من اطيان الى حين وفاتى الف وستمائة فدان وهذا بالطبع بخلاف ما اشتريت من عقارات سواء فى طهطا او القاهرة .

● **ماذا عن رايك فى مكارم الأخلاق الاجتماعية ؟**

— رايى ينحصر فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . لأن الرجل الصالح المستقيم لا يقتصر على الكف عن فعل الشر بل يرى أن الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف . فالاستقامة تنهى عن الشر والصلاح يأمر بالخير . ومن ذلك يتبين أن الرجل الاجتماعي — كما أرى — هو العادل المنصف المستقيم الصالح . لقد كتبت رأيي فيمن لا يستطيع الكسب لمرض او شيخوخة وطالبت بانشاء المؤسسات لتنهض بسد حاجة هؤلاء مؤكدا أن الدولة وحدها لا تستطيع القيام بذلك العبء ولهذا يجب ان يعينها جمعيات الأغنياء وأهل الميسرة .

● **ماذا كتبت عن حقوق العمال ؟**

— لقد ناديت بحق العامل فى ان ينال اجرا يناسب ما بذله من الجهد والعناء لقد بينت اثر العامل فى جلب الثروة وانه اقوى من خصوبة الأرض ومن الظلم غبن الأجير فعمله هو المنتج ولولاه ما ربحت الأرض هذا الربح العظيم ومحاولة المالك تقليل أجرته مستغلا ازدحام أهل الفلاحة على العمل اجحاف به وايذاء له لا يثمر محبة الأجير للمالك والايذاء ممنوع شرعا . لهذا اردت بهذا ان أشرك العامل مع صاحب الأرض فى غلتها . ومع ذلك فقد مدحت السعى والعمل وذممت البطالة والكسل بعد أن بينت قيمة العمل فى جلب الثراء الذى هو اساس سعادة الأمة .

● **ما هى اصول التمدن فى رأيك ؟**

— للتمدن اصلان : أصل معنوى وهو ما يتصل بتهذيب الأخلاق والآداب الدينية والفضائل الانسانية ، واصل مادى هو ما يتصل بالمنافع العمومية التى تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال الاجتماعى .

● متى انشئت مدرسة الألسن ؟

— فى عام ١٨٣٦ انشئت مدرسة المترجمين وسميت بعد انشائها بقليل مدرسة الألسن واسندت نظارتها الى حتى أستطيع تخريج جيل من المثقفين المصريين وحتى أضمن وجود طبقة من العلماء الأكفاء فى الآداب العربية وآداب اللغات الأجنبية ليقوموا بمهمة تعريب الكتب الافرنجيـة وليكونوا الصـلة بين الثقافتين المصرية والغربية وينهضوا بالأداة الحكومية فيما يعهد به اليهم من المناصب . لقد أخترت تلاميذها من مدارس الأقـاليم ومن الأزهر . لقد كانت مدرسة الألسن وملحقاتها أشبه ما تكون فى أيامكم هـذه بكليات الآداب والحقوق والتجارة مجتمعة . كمـا كانت ملتقى ثقافة الشرق بالغرب وأكبر معهد لنشر الثقافـة فى مصر . وسيطرت على التوجيه الثقافى فى البلاد . لقد كان عدد تلاميذ المدرسة أول انشائها خمسين تلميذا ممن يقرءون ويكتبون أصحاء البنية وتتراوح أعمارهم ما بين اربعة عشر سنة وثمانيـة عشرة سنة . وكان الغرض الأول من انشائها تخريج مترجمـين لمصالح الحكومة ، ثم اتجهت النيـة أن يكون من خريجيها قـلم الترجمـة ثم أستقر الرأى ان يكون غرضها اعـداد المترجمين والمدرسين ثم امداد المدارس الخصوصية بتلاميذ يعرفون اللغـة الفرنسية . لقد كانت مدة الدراسـة خمس سـنين تزداد الى ست . وكان يدرس بها اللغات الفرنسية والعربيـة والتركيـة والفارسية والايطالية والانجليزية الى جانب دراسة مواد كالهندسة والجبر والتاريخ . وكان بعض أساتذتها من الأجانب وبعضهم من مشايخ الأزهر وبعضهم من خريجى مدرسـة الألسن . لقد كان تلاميذى يمرنون على ترجمة الكتب زيادة على المواد الدراسـية التى كانوا يتلقونها وكان تلاميذ الفرقة الأخيرة خاصة يترجمون كتبا فى التاريخ والآداب وكنت أقوم والأساتذة باصلاح ما يترجمون

ثم يطبع ما ترجم وينشر كتبا تكون مادة الدراسة . على كل حال لقد ظللت ناظرا لهذه المدرسة الى أن اغلقت فى نوفمبر ١٨٤٩ وابعدت الى الخرطوم بدعوى انشاء مدرسة ابتدائية .

● **ما هى مبادئك فى التربية والتعليم ؟**

ـــ الطفل يغذى بالطعام لينمو جسمه ويغذى خلقه بتعويده التطبع بالطباع الحميدة والآداب والأخلاق ، وتغذيه عقله بالمعارف والوان العلوم . ان مهمة التربية عندى تهذيب الخلق وتنمية العقول وتحسين الادراك وليس من مهمتها خلق الذكاء ولا الألمعية لأن ذلك من الصفات الغريزية الطبيعية . وان أثر التربية الحسنة للأفراد هو النهوض بالهيئة الاجتماعية والأمة التى حسنت تربية بنيها هى الأمة السعيدة التى يرقى بها الوطن . ان أول ما يجب أن يعنى به مربى الطفل أن يمحو الاثرة من نفسه وأن يحفظه منذ صغره العقائد الدينية ويغذيه بالأحكام الشرعية . فينبغى أن يعلم الصغير ذكرا أو أنثى من مبدأ أمره اقامة الدليل على وجود الله ووحدانيته وهكذا يجب أن تسير التربية الدينية جنبا الى جنب مع تربيته المعاشية ليجمع بين معرفتهما . وينبغى لمن يربى البنت ويتعهد شئونها ألا يمس بمحو ولا تخفيف تلك الصفة التى اختصت بها دون الرجال والتى تتزين بها وهى صفة الحياء والخوف والوجل فان المراة لم تخلق لتحوز شجاعة الرجل ولكن لتحمل الرجال على الشجاعة .

● **لقد قسمت التعليم ثلاث مراحل : التعليم الأولى والتجهيزى والانتهائى .**

ـــ هذا صحيح .. فالتعليم الأولى لجميع الناس أغنياء وفقراء ذكور واناث . وهو ضرورى يحتاج اليه كل انسان

كاحتياجه الى الخبز والماء . ومنهجه من التعليم دراسة القراءة والكتابة ضمن تعليم القرآن الشريف وأصول الحساب ومبادىء الهندسة والنحو . أما التعليم التجهيزى (الثانوى) يكون به تمدن جمهور الأمة وكسبها درجة الرقى والحضارة والعمران وعلومه كثيرة . ولأهمية هذا النوع من التعليم لابد للحكومة أن ترغب الأهالى فيه وتسوقهم اليه والأفضل أن يكون تعليم المهن على اختلاف أنواعها بعد الانتهاء من هذه المرحلة . والتعليم الانتهائى (العالى) هو الذى يشتغل الانسان فيه بعلم مخصوص يتبحر فيه بعد تحصيله علوم المبادىء التى يجول ويصول صاحبه فى أصوله وفروعه . لقد كان رأيى أنه من الواجب تعميم التعليم الأولى من أثناء السعب جميعا وترغيب الشعب فى التعليم الثانوى ووجوب الاقتصاد فى التعليم العالى لأنه معد لتكوين أرباب السياسات والرئاسات وأهل الحل والعقد فى الممالك والحكومات فيجب أن تكون عدد تلامذته محصورا والا تباح الانتساب اليه الا لصاحب الثروة واليسار بحيث لا تضر نفقته للعلوم العالية بالمملكة . لقد كان رأيى أيضا أنه ينبغى لولى الأمر ان يتأمل حال الصبى ليرى ما هو مستعد له من الأعمال فيعلم أنه مخلوق له فيوجهه التوجيه الصالح ولا يحمله على غير ما هو مستعد له ، فانه ان حمله على ذلك لم يفلح فيه وفاته ما كان مهيئا له .

● **هل لك ان توضح لنا رأيك فى صلة المعلم بتلميذه والتلميذ بمعلمه ؟**

— من الواجب أن تكون صلة حب وإخلاص فالتلميذ يدعو لأستاذه كلما شرع فى قراءة درس أو فرغ منه . وحق المعلم ان يجرى متعلمه مجرى بنيه . وعلى المربى أن يختار من العبارات

التى يؤدى بها المعنى ما هو واضح ومفصل فى مستوى تلاميذه وأن يعاملهم بالرفق والشفقة وأن يعنى بارشادهم ويهتم بمصالحهم ويصبر على جفائهم وسوء أدبهم ويعذرهم فى قلة أدبهم ولا سيما اذا كانوا حديثى السن . أما ما يفعله معلمو القرآن الكريم وشدة عنفهم وضربهم للأولاد الصغار المبتدئين فى التعليم فهو خروج عن حد الشرع ويترتب على ذلك أن الأولاد يمتنعون عن الكتابة والقراءة فيجب أن يعاملوا الصغار بالرفق والحيلة فى التعليم . ومع ذلك قد أجزت للأب أن يضرب ابنه لتدريبه وتأديبه . كذلك ينبغى للمعلمين أن يأذنوا لتلاميذهم باللعب فى بعض الأوقات ليستريحوا من عناء الدرس .

● **ما واجب التلميذ بمعلمه ؟**

— أن يكون متأدبا مع الله ومع مربيه متواضعا لأستاذه محبا له معتقدا فيه سامعا لقوله بل ان يكون معه بمنزلة العبد من مولاه وأن يكون متأملا ومستفيدا وأن يبعد الفتور عن نفسه .

● **لقد فصلت يا شيخنا الجليل اخلاق العلماء فماذا قلت ؟**

— العالم لابد أن يكون متواضعا زاهدا فى طلب الرياسة والاعتراف بعلم الممتازين وعدم الحقد عليهم والتماس عثراتهم وانتقادهم وينبغى له الا يمدح نفسه ولا يفرح بمدح الناس له وثنائهم عليه وأن يكون مثلا من الأمثلة الكريمة فى الأخلاق الحميدة من الزهد فى الدنيا والسخاء وطلاقة الوجه فى غير خروج الى حد الخلاعة والصبر والتقوى ويكون مكثرا من الخشوع والوقار متجنبا الضحك والاكثار من المزاح . لا يلبس الملابس الرثة المكروهة المبتذلة وأن يكون تاركا للشهرة وليحذر كل الحذر من الحسد والكبر والرياء والعجب .

● **ماذا عن رأيك فى ثقافة الأديب ؟**

— الواجب على الأديب ان يتعلق بكل علم وكل صناعة ويخوض فى كل فن من الفنون ولابد للكاتب ان لم يحسن الشعر أن يكون له سعة اطلاع على دواوينه سواء اكان شعر العرب ام من شعر المولدين والمخضرمين . والمثل الأعلى لبلاغة الكاتب أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة لأنها اذا لم تكن كذلك لا تكون فصيحة وان تكون مركباته مما يفهمه الخاصة والعامة . والأدب ذا فضل على العلوم فانه يكسوها طلاوة وحلاوة ويجب ان يأخذ من العلم فكرته ومن الأدب أسلوبه .

● **رفاعة بك .. ما هى الدوافع الحقيقية وراء ابعادك الى السودان فى عهد عباس ؟**

— لقد نفيت الى الخرطوم لأتولى انشاء ونظارة مدرسة ابتدائية بحجة « اننى ملم بأصول المدارس وتنسيقها وتنظيمها نظاما حسنا » .

● **ما الدافع الحقيقى لابعادك ؟**

— هم اولئك الوشاة الذين أصغى اليهم عباس .. فالبعض منهم لفتوا نظره الى ما فى كتابى « تخليص الابريز » من اراء ومبادىء لا يرغب فيها الحاكم المستبد وقد كان هو مستبدا فراى أن يبعدنى ويبعد افكارى وثقافتى عن مصر .. كذلك قد يكون لأطماع على مبارك بعد عودته من اوروبا اثرها فى ابعادى خاصة وأن عباس قد قربه اليه .. كما يحتمل أن يكون ابعادى مرجعه بعض المشايخ المتعصبين الذين عدونى متطفلا على ميدانهم فى دراسة الشريعة والفقه . خلاصة القول ان الحكومات الفاسدة كثيرا ما ضاقت بالعلماء فما بالك اذا كان البيت الحاكم منشق على نفسه اذا تقرب أحد الى بعضه غضب عليه البعض الآخر .

● **هل لك ان تصف لنا شعورك فى السودان ؟**

ـــ باننى منفى لا مبعوث لنشر العلم والعرفان كما ان جو السودان أودى بحياة الكثير ممن كانوا بصحبتى من المدرسين الأكفاء الذين اخترتهم للذهاب معى . كما أننى لم أصحب معى أهلى وبنى لذلك كنت دائم التفكير فيهم شديد الحنين اليهم . لقد تحملت كل ذلك بجلد وصبر . لقد حاسبت نفسى على كل ما قدمته لبلادى فوجدت ان كل حسناتى قوبلت بالاساءة وجميلى بالنكران .

● **ماذا كان مصير مدرسة الخرطوم ؟**

ـــ اغلب التلاميذ الذين جمعوا الى المدرسة هربوا بمعرفة اهاليهم الى الجبال المستبعدة كما كانوا ناس « غلايظ العقول » ، اما المعلمون فقد توفى ثلاثة منهم واما المهمات المدرسية كالطرابيش وخلافه استولى عليها حكمدار السودان ووزعها على فرق الجيش .. والخلاصة ان المدرسة صارت اسما بدون جسم . هذا كان حال المدرسة خلال العامين الأولين من ذهابى الى الخرطوم غير أننى لما رايت أن لا امل فى العودة الى مصر بدأت أعمل بجد . فتنظمت المدرسة حوالى تسعة شهور وتعلم فيها التلاميذ من أبناء المصريين القاطنين هناك . وكان عدد التلاميذ واحد وثلاثين وبعد شهر ونصف زادوا سبعة بفضل جهود حكمدار السودان وتوسمت فى عشرة منهم التفوق على أقرانهم فخصصتهم بالرعاية ليكونوا مقدمين على أقرانهم وقلفوات للمدرسة .

● **غير أن عباس مات فجأة ولم يمض على تولية سعيد باشا الحكم أسبوعا حتى أصدر امره بالغاء المدرسة وعدت الى مصر واستقبل تلاميذك عودتك بالغبطة والبهجة وعدت لتولى**

المناصب . مولانا الشيخ رفاعة بك .. هل كان لك آراء خاصة في السياسة ؟

ـــ لقد كنت اميل بالفطرة الى النظم الحرة والحياة السياسية المقيدة بالقوانين لذلك ترجمت دستور فرنساوى ادخل عليه من تعديلات وقد علقت على مواده . لقد اوضحت ان النظام العمراني يحتاج في انتظامه الى قوتين عظيمتين احداهما القوة الحاكمة التي عليها قوام الدين والدنيا ، والثانية هي القوة المحكومة وهي القوة الأهلية المحرزة لكامل الحرية والمتمتعة بالمنافع العمومية . لقد كتبت عن اركان الحكومة ممثلة في ثلاث قوى : الأولى قوة تقنين القوانين وتنظيمها والثانية قوة القضاء والثالثة قوة تنفيذ للأحكام بعد حكم القضاء بها . لقد كتبت عن الملك وقلت يجب ان يتصرف على موجب احكام شرعية واصول مضبوطة مرعية وله حقوق وعليه واجبات واوضحت ان للتاريخ قوته في حمل الملوك على العدل وان الله قد اختاره لرعاية الرعية وجعله ملكا عليهم لا مالكا لهم بمعنى اعطاء كل ذي حق حقه . والمساواة في الانصاف بميزان القوانين وحسن اختيار معاونيه وللملك على رعيته الطاعة الكاملة واذا ظهر له عدو لزمهم معاونته . لقد كتبت كثيرا في الحقوق المدنية والحرية والمساواة والنظام النيابي والاشتغال بالسياسة . وكتبي الثلاث المرشد الأمين ومناهج الألباب المصرية وتخليص الابريز تحوي باسهاب آرائي التي اوضحتها .

● **ان ما اوضحته في كتبك من اراء ورغبات قد حققتها وزارة التربية والتعليم في عصرنا هذا بتدريسها مبادىء الوطنية في مدارسها ليعرف ابناء الوطن حقوق وطنهم عليهم وواجباتهم نحوه. لقد كنت يا استاذنا الشيخ تقدر مهنة التعليم حق قدرها وتجل**

القائمين عليها حتى انك كتبت فى المرشد الأمين « ان خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون » .

ـــ وهـــذا حق ...

● **هل لك أن تحدثنا عن رفاعة الصحفي المجدد ؟**

ـــ تقصد عملى بالوقائع المصرية التى صـــدرت فى الثالث من ديسمبر ١٨٢٨ والتى صدر قرارا رسميا عن ديوان المدارس فى الحادى عشر من يناير ١٨٤٢ بتعيينى رئيسا لتحريرها . لقد لاحظت أن هذه الصحيفة تكتب باللغتين التركية والعربية وموادها تكتب بالتركية ثم تترجم الى العربيـــة فى ركاكة . لذلك حتمت على الصحيفة أن تقدم المواد كلها باللغة العربية أولا ثم تترجم الى التركية . كما عنيت عناية خاصـــة بالأخبار المصرية مقدما اياها على الخارجيـــة . لقد انتقلت الوقائع من الأخبار التافهة والعبارات الجوفاء الى موضوعات هامة لها شأنها ونفعها للقارىء المصرى .. لقد شهدت الوقائع على يدى أول محاولة لانشاء المقال فى تاريخ الصحافة المصرية . ومن المعروف أن المقـــال فى ذاتـــه تفكير وتحرير أو كما يقال موضوع وأسلوب .

● **هل تستأذنك فى ايضاح نوعية المقالات التى كنت تكتبها فى ذلك الحين ؟**

ـــ لقد تناولت موضـــوع الحاكم وموضـــوع الرعية وشرح وظائف الحكومة وتكلمت عن أنواع الحكومات الأجنبية وتحدثت باحتياط تام عن الحكومات الاسلامية فى معرض التفرقة بينها وبين الحكومات الأوروبية غير غافل أن الحاكم محمد على باشـــا رجل دكتاتورى النزعة .

● **ماذا عن التجديدات التى اضفتها الى الوقـائع المصرية ؟**

ـــ لقد ضمنت كل عدد قطعا ادبية اخذت من بطون الكتب العربية القديمة كمقدمة بن خلدون مثلا . لقد قصـدت أن تقوم الصحافة بواجب التثقيف وتنوير الأفهام الى جانب الأخبـار والاعـلام .

● **ماذا عن المحررين والمترجمين والمصححين ؟**

ـــ لقد عينت مندوبين يجمعون لها الأخبـار من دواوين الحكومة . أما المترجمين فقد كانوا من مدرسة الألسن أما المحررين فاهمهم احمد فارس الشدياق والسيد شـهاب الدين . لقد نظمت الجريدة تنظيما جديدا بحيث أصبحت تصـدر كل أسبوع وعينت مكانا لبيعها وثمن لها وللاشتراك السنوى . وظلت الوقـائع تصدر حتى جاء عهد عباس الأول فاصيبت الوقائع بنكسة .. فقد اختفت منها المقالات السياسـية والاقتصـادية كما اختفت الأخبار الخارجية وكثير من الأخبار الداخلية . وعادت تنحصر فى بعض القرارات الرسـمية . أما انا رئيس التحرير فقد ابعدت لأعمل ناظر مدرسة بالسودان .

● **ولكنك فى عهد اسـماعيل استدعيت من جديد لتتولى اصدار صحيفة جديدة انفق عليها ديوان المدارس وكان اسـمها « روضة المدارس » .**

ـــ التى صدر العدد الأول منها فى السابع عشر من ابريل سنة ١٨٧٠ . لقد كانت هـذه المجلة تصدر مرتين فى كل شهر . وكان يشترك فى تحريرها كل من يندب لهذه المهمـة من ذوى العلم والمعرفة ، أما من حيث الأخبار فقد كانت تقصر عنايتها على اخبار

الطلبة والامتحانات وقصائد ومنظومات من الشعر فى شكر الخديو لتشجيعه العلم والعلماء ولانشائه المدارس هنا وهناك . أما أهداف المجلة فكان النهوض باللغة العربية ونشر المعارف الانسانية .

● كيف كانت توزع روضة المدارس ؟

ـــ كان ديوان المدارس يمنح الثلاثة الأوائل من الطلبة فى كل فرقة بالمدارس الأعداد التى تصدر من الروضة . ولقيت الصحيفة من الطلبة الاقبال الشديد على قراءتها والكتابة فيها مما حمل الديوان على أن يأمر بأن « التلامذة لا يشتغلون بمواد الجرنال فى وقت الدروس ولا فى كتابته ما لم يكن فى أوقات الفسحة او خارجا عن المدرسة » . لقد كان يطبع من كل عدد ٣٥٠ نسخة ثم زيدت الى ٧٠٠ نسخة وجعل الاشتراك فيها ٧٧ قرشا وست بارات فى القاهرة و ٨٢ قرشا فى داخل القطر و ٩٠ قرشا فى خارجه . وكان الديوان حريصا على توزيع أعداد الروضة وكان يرسل بعض أعدادها الى مدارسه ليشتريها المدرسون منها الى « الحذر من عدم ارتداد اى نسخة من الروضة » ثم رأى أن يقرر شراءها على جميع الموظفين بديوان المدارس والمكاتب الأهلية ممن لا يقل مرتبهم عن ٢٥٠ قرشا فى الشهر . وكذلك كان ديوان المدارس يرسل أعدادا من الروضة الى اعيان البلاد ليقوموا بتوزيعها .

● كيف كان تنسيق مجلة روضة المدارس ؟

ـــ كان العدد من المجلة مقسوما الى قسمين اولهما الأخبار وثانيهما قسم الكتب الذى كان يضم الكثير من المعارف الانسانية والاجتماعية والتاريخية واللغوية . المهم أن هذه

المعارف والعلوم كانت تنشر فى روضة المدارس على شكل ملازم تشير كل ملزمة منها الى كتاب بعينه قام على تاليفه أو ترجمته رجل له صلة بهذا العلم أو ذاك بحيث اذا جمعت الملازم المتشابهة فى النهاية تألف من ذلك المجموع كتب متفرقة .

● **ما هى الكتب التى طبعت ملازم فى روضة المدارس وجمعت فى كتاب ؟**

ـــ حقائق الأخبار فى وصف البحار (على مبارك) ، كنوز الأشعار ومنثور الأفكار (عبد الله فكرى) ، بهجة الطالب فى علم الكواكب (اسماعيل الفلكى) ، غريب النوادر والمضحكات والألغاز والأحاجى والنكات (عثمان ممدوح) ، اللآلى السنية فى الفوائد الكيمائية (منصور احمد) ، الصحة التامة والمنحة العامة (محمد بدر) .

● **ولك انت كتاب القول السديد فى الاجتهاد والتجديد . حقا ان هذه الكتب تؤكد لنا تنوع الثقافات التى احتفلت بها روضة المدارس ، والتى نعتقد انها لم تكن مجلة سياسية بل كانت مجلة ادبية علمية . وقفت فيها موقف الأستاذ الذى حرص على تقديم اشهى انواع المعرفة للتلاميذ فى زمانك فكنت المهيمن على تثقيف الشباب عن طريق المجلة خارج المدرسة .**

ـــ لقد حاولت بقدر ما سمحت الامكانيات التى اتاحتها لى الحكومة أن اقدم صحافة خير وصحافة توجيه وتثقيف وارشاد وتسلية وامتاع .. واعتقد أننى وفقت .

● **من هم معاونوك ومساعدوك من العلماء والمدرسين ؟**

ـــ لقد ساعدنى طائفة من العلماء كان يوكل امر اختيارهم

لى فكنت اتى بهم من الأزهر مثل الشيخ محمد قطة العدوى ، والشيخ على الفرغلى الأنصارى وكان يدرس اللغة العربية ، وأحمد عبد الرحيم الطهطاوى المؤلف فى التوحيد والفقه والنحو والأدب المحرر بالوقائع المصرية وكان (باشخوجه) اللغة العربية بالمدرسة التجهيزية وكبير المصححين بمدرسة الألسن ، والشيخ محمد المنصورى وكان مكفوف البصر وقد تعين لاعطاء دروس الفقه والتوحيد بمدرسة الشريعة الاسلامية . وكذلك كان معى مدرسون فرنسيون منهم (ديزون) وقد كان معاونا لى وامينا للمكتبة الملحقة بالمدرسة . أما الشيخ محمد هدهد الطنتدائى فقد كان ممن ساعدونى فى اختيار بعض العبارات والأساليب فى الترجمة وقد قيدته بصحبتى « مبيضا » لكتاب الجغرافية العمومية وكاتبا لما أمليه عليه فقام بواجبات وظيفته وزيادة وربما تصرف بعد مشاوراتى فى عبارات او اشار على بتغيير ما يظن أنه يعسر فهمه على من لم يسبق له فى هذا الفن علمه . أما معاونى فى قلم الترجمة فكانوا من تلاميذى وهم كثيرون .

● **هل لنا أن نعرف بعض تلاميذك النجباء ؟**

— منهم الدكتور على البقلى باشا الذى ارسل الى باريس لدراسة الطب فلما عاد انتفع به الوطن بعمله ومنحه الوالى رتبة أميرالاى .. لقد حضر الى وكنت حينذاك ناظرا للمدرسة الحربية وقبل يدى معترفا بفضلى .. لقد كان من أعلام الطب فى عصر محمد على واسماعيل . كذلك من تلاميذى عبد الله ابو السعود ندى وهو أول صحفى سياسى حرر أول صحيفة سياسية حرة صدرت فى مصر فى عهد اسماعيل وهى جريدة وادى النيل وارتقى المناصب حتى صار رئيسا لقلم الترجمة وله مؤلفات وتراجم شيرة .. والعالم المشرع الكبير محمد قدرى باشا صاحب الكتب الثلاثة الخالدة فى جمع أحكام الشريعة الاسلامية فى المعاملات المدنية

وجعل منصب الترجمة فى الحكومة ورئيسا لقلم الترجمة بوزارة الخارجية وترجم قانون الحدود والجنايات وقوانين المحاكم المختلطة تمهيدا لوضع قوانين المحاكم الأهلية وتولى وزارة الحقانية ثم المعارف فى عهد توفيق باشا .. ومنهم عثمان جلال ذلك الشاعر البائر واضع أسس القصة الحديثة وكان مبالا للفن الروائى فترجم وعصر ما ترجم وقد أسوزره توفيق باشا . ومن أذكى وأحسن تلاميذى السيد صالح مجدى بك الذى ألحق بقلم الترجمة وتخصص فى ترجمة العلوم الرياضية وكتب الفنون الحربية وتصحيحها وتولى رئاسة قلم الترجمة فى عهد اسماعيل وعين قاضيا بمحكمة مصر المختلطة وكان يحسن الانشاء والكتابة وله ديوان شعر .. كذلك من تلاميذى المترجم الممتاز محمد مصطفى اليماني وغيرهم كثيرون تخرجوا من مدرسة الألسن وعربوا نحو ألفى كتاب أو رسالة فى مختلف العلوم والفنون وأن جميع الذين نبغوا فى الترجمة فى عهد محمد على واسماعيل يرجعون انهم كانوا تلاميذى .

● **هل تعرف ماذا قال عنك تلميذك صالح مجدى بك فى وصفك ؟**

— تمادا وصفى لحضرتكم ذلك التلميذ النجيب ؟

● **قال انك قصير القامة عظيم الهمة واسع الجبين متناسب الأعضاء أسمر اللون صحيح البنية قوى الأعصاب ، النغ فى الراء ، عيناك واسعتان لهما نظرة هادئة حالمة ، وشفتان مطبقتان ، ما كنت تعنني بملابسك .**

— أهذا كل ما قاله من صفاتى .

● **لقد قال من أظهر صفاتك الخلقية الصبر والمثابرة وقوة**

العزيمة والاقدام والجراة وبباب العزم والحزم والدهـاء والابـاء والسمم . لقد قال ايضا كان فيك زيادة كرم وسماحة لاعتقت كثيرا من الأرقـاء من الاناث والذكور وظللت بمنحهم الكسـوة والمئونه متكفلا لهم بكل ما امكن حتى وفاتك . كما كتب انك كنت تصـل رحمك وتذهب الى بلدك لزيارة الأهل والأقارب وكنت ببذل الجهد لقضاء حوائج الجميع . لقد قال عنك كنت ذكيا حاد الذهن دقيق الملاحظة ذا عقليه منظمة .

ـــ لم تذكر انى لم اكن متزمتـا بل كان مجلسى مجلـس مسرات وفرح .

● **لم ننسى ان يذكر انك اشتهرت بالتواضـع والزهـد وعدم الاعتزاز بزينة الدنيا وزخرفها . ولعل اهم ما وصفك به يا شيخنا حبك لوطنك حبا منشؤه الاعجاب بماضـيه والأمل فى مسـتقبله .**

ـ لقد كان كبى واسعارى بعضان بهذا الحب العميق فمصر جديره بالحب لحصنها وحرها وانها بلد العلم والحكمه ومنها خرج العلمـاء والحكمـاء الذين عمروا ممالك الدنيـا بتدبرهم وحكمتهم وفنونهم .

● **على ذكر اشعارك هـل تاذن لنا ان نناقش راى نقـاد جيلنا فيما كتبت من شعر ونثر وخطب بل وكتبك ايضا .**

ـــ بكل سرور .. فباب المنافشه مفتوح على مصراعيـه .

● **بادىء ذى بدء أعلم انك تؤمن بان الشعر هبة وان معرفة قوانين النظم لا تكفى لقرض الشعر بل لابد ان تكون الشاعريـة**

سجبه والنظم سليقة وطبيعة والا كان نفسه باردا وشعره غير مقبول .

— كما ادركت بان الشعر لم يكن من بين ما اعتز به من المواهب ولا ما افخر به عند نقاد المفاخر ولا مما اقف جهدى عليه وانما هى نفثات بعيض بها قلمى عندما يمتلىء بها صدرى . ومع ذلك هل لى ان اعرف ماذا كتب نقاد جيلكم عنى ؟

● قالوا انك لم تؤلف كتابا مستقلا فى البلاغة ، وفى كتابك مناهج الالباب كان غرضك الأساسى فيه هو الحديث عن المنافع العموميه التى تعود على الوطن بالغنى والثراء ولكنك قد استطردت فى اثناء كلامك عن ذلك الى موضوعات شتى منها الخلقى ومنها الاجتماعى ومنها التربوى ومنها السياسى ومنها التاريخى وقد ادى ذلك الى تشويه وحدة الكتاب وجعلت الوصول الى الغرض منه يحتاج الى الاناة والتريث فقد لفت هذه الاستطرادات الموضوع نوع من الغموض . لقد قال النقاد ايضا ان الكثير من الآراء فى كتبك مرونه عن غيرك ونصدق عليها واسلوبك هذا مالوف فى عصرك ولكن ان اتباعك لهذا الأسلوب قد فوت علينا الكثير فى بين وحده التفكير عندك واستخلاص الصورة المتكامله لطريقة تفكيرك ولما كنت تؤمن به . اما عن خطبك فقد قالوا ان كل خطبك مدرسيه كنت تكتبها بمناسبة الامتحانات وحفلات افتتاح المدارس وقد كان ينقصها التدفق والحرارة والانطلاق . لقد قال البعض بالرغم من مقدرتك على التعريب فان بعض عباراتك وتركيبه كما ان بعضهم بضع تحفظا بخصوص رايك فى اللغة العاميه الدارجة .. فانت ترى انه لا مانع ان يكون لها قواعد عربية ماخذ بضبطها واصول على حسب الامكان تربطها ليتعارفها اهل الاقليم حيث نفعهم بالنسبة اليهم عميم ونصنف فيها كتب المنافع

القومية والمصالح البلدية . لقد قال بعض النقاد أنك لم تستطع ان تتخلص من ذوق أهل عصرك فنراك عندما تحتفل بعرض افكارك فى عبارة نثرية تلتزم فيها جانب السجع وعندما تقف معجبا بأبيات الشعر فهى تلك التى تأخذ بنصيب من المحسنات والزخارف . كما أن شعرك تنقصه حرارة العاطفة وقوة الأسلوب كما كان شعرك أكثره مديح فى محمد على وأسرته حتى قيل ان شعرك هذا كان أكثر تكلفا فانك لا تشعر فيه بروعة ولا يهزك عند قراءته جمال فهو متكلف يراد به الوصول الى تاريخ .. حقا لقد قلت الشعر فى المدح والحماسة والوطنية والوصف والشكوى والتوسل بالرسول غير أن حظك من الروعة قليل فليس فى شعرك تلك القوة الآسرة ، كما أن مجال الخيال فيه ضيق . وان كان اسلوبك لم يرتفع الى مستوى الشعر السامى فى الجزالة فهو لم ينحط الى أن يكون تلاعبا باللفظ ولا يعنى شيئا بقول . ولم ينكر عليك النقاد أنك كنت أول من نظم فى الشعر العربى الأناشيد الوطنية مما يسمح لنا بأن نقرر انك قد ادخلت تجديدا فى الشعر العربى الحديث . لقد لقبك الكثير من النقاد بأبى الفكر السياسى والاجتماعى المصرى الحديث فقد بذرت بذور الفكرة الديموقراطية ودعوت الى تدخل الدولة لتحقيق العدالة الاجتماعية وكتبت عن الوطنية المصرية ودعوت المصريين الى الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم وحرضت على التعرف على الحضارة الأوروبية الجديدة والاستفادة منها . وانت الذى انتقدت الأوهام والبدع الفاسدة . لقد قدمت نظرة وطنية ترتكز الى التراث دون تعصب والأخذ من الخارج دون تبعية ووضعت الأساس لمنهج العلاقة بين التراث والمعاصرة . . هذا يا شيخنا رفاعة بك ما قاله نقاد جيلنا .

— وماذا قال عنى تلاميذى واصدقائى بعد وفاتى ؟

● لقد ترجم لك تلميذك السيد صالح مجدى بك فكتب

عنك « الأديب الأريب العلامة الثبت النقد الحجة فى كل علم وفن .. » وترجم لك على مبارك فى كتابه الخطط الجديده وقال عنك « انه ما كان يفتر عن الاستغال بالترجمه والتاليف وكانت مجامع الامنجابات لا تزهو الا به » .. لقد ترجم لك لوس سيخو اليسوعى فى كتابه انك سبقت اهل وطنك بتعريب التاليف الغربيه. وقال عنك السكندرى وزميله فى كتاب الوسيط « هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم شيخ الترجمه وامام النهضه » . وقال عنك الأمير عمر طوسون فى ترجمته « هو احد اركان النهضة العلميه العربيه بل امامها فى مصر » وتضيق الصفحات اذا ذكرنا ترجمات حسن السندوبى ومحمد الصادق حسين بك وحمد الدين الزركلى وعبد الرحمن الرافعى واحمد عزت عبد الكريم والدكتور ابراهيم عبده وغيرهم .

— من كتب عنك من الأجانب أم بالعربى ؟

● لقد قال عنك « كارا دى فو » « انه برغم تدين هذا الكاتب العبقرى وعقيدته فهم فلاسفة فرنسا فى القرن الثامن عشر وتأثر بآراء العقليين تأثرا ربما كان أكثر مما ينبغى » . وكذلك ما قاله « كلمنت ابوارت » عنك « اما مؤلفاتك الابتكاريه فكتاب رحلته واقامته فى فرنسا ومنظوماته الحماسية والوطنيه المصريه » . فاذا اضفنا ما كتبه عنك « موريس شبمول » فى دائره المعارف الاسلاميه حيث قال : « كان رفاعة احد كبار كتاب العربيه فى القرن التاسع عشر وقد اربط اسمه بالنهضة القيمة فى الحركه الأدبيه والعلميه الشرق الحديث وبنفسيته البحاثة وذكائه النادر خلف لنا عملا جديرا بالتقدير يعالج مختلف النواحى » كما قال ايضا : « بفضل اعمالك ونشاطك فتحت ابواب الشرق للأفكار الحديثة ونهذب العقول لمعاصرك وايقاظ حماستهم الراقدة ... الخ » . هذا قليل من كثير كتب عنك بعد وفاتك .

— فى ٢٧ مايو ١٨٧٣ عن خمسه وسبعين عاما قضيتها فى جهد طويل مثمر عشها صحيح البدن قوى الأعصاب معتدل المزاج حتى آخر أيامى .

● لقد ودعتك مصر وداعا حافلا جديرا برجل عاش طول حياته لخدمتها والعمل على النهوض بها . لقد نعتك الوقائع المصريه مسجله هذا الوداع الحافل فقالت : « ... رجل ارتفعت سمعته الطباق وملأت شهرته الآفاق المرحوم رفاعه بك افندى الفنى عن الاطناب بماله من جليل النعوت وجميل الالقاب ... ثم تسييع جنازته من منزله الذى بطريق سبرا ممن لم يدعوا لمار فى الطريق فنرا او نسبرا من حضرات العلماء الافاضل ورجال المدارس الاوائل والامراء الفخام والاعيان الكرام وحسبه سعى حضره مولانا شيخ الجامع الأزهر مفتى الديار المصريه المسكور هو ومن تبعه من اكابر العلماء ولحضرة الجناب المبجل (سعاد بلو) مستشار المدارس والأوقاف والانشغال ... الخ » . لقد رثاك محمد عثمان احد تلاميذك بمدرسة الألسن بقصيدة نشرتها الوقائع المصريه فى عدد نعيك .. ورثاك تلميذك صالح مجدى بك بقصائد . اما مجله روضة المدارس فقد نقل ولدك فيها نعى الوقائع لك . لقد أرسل السيد محمد طاهر ومحمد صالح الدمشقى رسائل تعزيه لولدك على فقهى ونشرهما فى مجلة روضه المدارس .. ولولا ضيق المكان لنشرت مضمونها ... لقد لمسنا من هذه المراثى ما يكنه لك الجميع من التقدير لعلمك ومؤلفاتك وعما كان لك من قدر فى العالم العربى وما خلفته من ذكرى حبة بين الناطقين بالضاد .

— لقد كرمنى فرنسا توسيع تماثيل لى كما احب ذكراى بعض المحافل الأدبيه هناك .

● وفى مصر اقام المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم

الاجتماعيه مهرجانا حافلا فى ديسمبر ١٩٥٨ بدأ بمدينه طهطا مسقط رأسك ثم انتقل الى القاهره حيث القيت دراسات بقاعه نقابه الصحفيين عن حياتك واعمالك الجيدة . لقد اطلق اسمك على مكتبه جديده بسوهاج وافتتحت فى عيد المحافظه القومى .. لقد خلدك كوكبه من المع ادباء العصر واساتذه الجامعات والمهتمين بالثقافه والأدب والتعليم فى مصر والعالم .. لقد تناولتك الأقلام بالحب والتقدير والنقد . فتناولك الدكتورة سهير القلماوى المراه فى مؤلفاتك .. وتناولك شيخا ازهريا الدكتور محمد عبد الله ماضى وتناولك صحفيا الدكتور عبد اللطيف حمزه وتناولك مؤلفا الأستاذ عبد المنعم عامر وتناولك مترجما الدكتور جمال الدين الشيال وتناولك مربيا الدكتور احمد عزب عبد الكريم وتناولك فى مدرسه الألسن فريد عبد الرحمن .. وتناولك فى باريس الدكتور انور لوقا .. وتناول جهودك فى تجديد اللغه والفكر والأدب الأستاذ احمد خلف الله احمد وتناولك الدكتور مهدى علام باعتبارك أول رائد للنهضة الفكرية .. هذا بخلاف مئات المقالات فى كافه المجلات الثقافيه والأدبية والتربوية بالبلاد العربية .

— بعضد ما كتبه الدكتور على الدين هلال فى دراسته « رفاعه رافع الطهطاوى رائد الفكر الاجتماعى ... والدكتور محمد محمود الدسى فى مقاله « رفاعة الطهطاوى أول صحفى فى تعليم المراه العربيه وتحريرها » .. والأديب المبدع لمعى المطيعى فى « هذا الرجل من مصر » .

● بل يجب ان نذكر بكل فخر واعتزاز ذلك الكتاب الممتع المستفيض الذى قدمه للمكتبه العربية الدكتور احمد احمد بدوى وعنوانه « رفاعه الطهطاوى بك » فهو كتاب يعتبر مرجعا هاما لكل من يريد ان يعرف عنك شيئا من مولدك حتى وفاتك ... ولماذا

نذهب بعيدا يا شيخنا الوقور وادبنـا المبدع والمربى العـالم والصحفى الوطنى .. اليس هذا الحوار المطول الذى غصنا به فى اعماقك يا رائد حركة التجديد التربوى والاجتماعى فى مصر كفيل بأن يقدمك لشباب جيلنا وادباء عصرنا والمهتمين بالتعليم والباحثين عن التجديد والمدركين لقيمة الرحـلات المفيدة ... يا استاذنا الأزهرى المتفتح .

رفاعـة بك رافع الطهطـاوى

● جريدة « اخبار دمياط »

العدد ١٥٤٠ بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٥ ، ١٥٤١ بتاريخ ١٩٨٧/٦/٨ ، ١٥٤٣ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٦ ، ١٥٤٥ بتاريخ ١٩٨٧/٧/٢٧ ، ١٥٤٦ بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٧ ، ١٥٤٧ بتـاريخ ١٩٨٧/٨/٣١ ، ١٥٤٨ بتـاريخ ١٩٨٧/٩/١٤ ، ١٥٤٩ بتـاريخ ١٩٨٧/٩/٢٨ ، ١٥٥٠ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/١٢ ، ١٥٥١ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٢٦ .

البارون فـان

هل كان سعيدا محظوظا بعمله سكرتيرا خاصا لنابليون بونابرت ؟

عندما نستمع ان « زيدا » من الناس قد اختير سكرتيرا خاصا لملك او امبراطور او رئيس جمهورية.. يقف منا البعض مبهورا والبعض حاسدا لأن هـذا سوف يكون يوما مرموقا .. يعلم الكثير من بواطن الأمور بحكم وظيفته .. بحكم قربه من جلالته او فخامته .. تحلق حوله الصحافة كالفراشة وتفسح له كتب التاريخ مكانا حتى لو كانت خدمته هـذه لساعات او أيام او لسنين طويلة من هـؤلاء ذلك السكرتير الذى كشف لنا عن الجوانب الخفية فى شخصية نابليون تعالوا بنا نتعرف على صاحب المذكرات التاريخية التى مدت المؤرخين بتفاصيل شائقة ..

● **بارون فان .. انت احد اربعة ذكرهم التاريخ تعاقبوا على خدمة نابليون .. انت وبوريين ومنيفال وكلود سيمار .**

ـــ لقد ذكرت كلود سيمار مع أنه لم يعمل سكرتيرا لنابليون اكثر من نصف ساعة .

● **حقا .. وكيف ذلك ؟**

ـــ كان كلود شابا درس القانون ولكنه لم يشأ أن يمتهن المحاماة ، وسعى الى ان عين كاتبا ملحقا بمكتب وزير الحربية فى باريس .. لقد كان العمل مرهقا يقتضيه اثنتى عشر ساعة فى اليوم حتى كان يتناول الغداء والعشاء فى الديوان .

● **اعتقد ان هذا كان سببه ان الماريشال (بريتيه) وزير الحربية كان يضرب المثل بنفسه لمرءوسيه . فيصل ساعات النهار بساعات الليل فى الاشراف على اعداد قوائم التجنيد وتوزيع القيادات وتوفير وسائل النقل والتموين لا تاخذه فى ذلك رحمة بنفسه ولا بمعاونيه .**

ـــ لهذا تمنى الذين يعملون معه لو اتيح لهم الانتقال من

وزاره الحربيه الى أخرى تسمح طبيعه العمل فيها بقدر من استراحه وترويح عن النفوس . لذلك كان فرح (كلود) عظيما يوم استدعاه الوزير مع رفاقه وعهد لهم امتحانا فى سرعة الكتابه مع جوده الخط وضبط قواعد النحو والأملاء وكان درسه الأول . وأفضى الوزير اليه بأن جلالة الامبراطور نابليون قد كلفه باختياره سكرتيرا خاصا له بعد أن عرض عليه نتيجه الامتحان .

● **وبالطبع كان كلود سعيدا بهذا الاختيار الذى أتاحه له الاقدار .**

— وانه لسعاده ... فما كاد الوزير يهنئه باختياره حتى طلب اليه ان يعجل بالذهاب الى قصر التويلرى حيث يقيم الامبراطور . وودع كلود رفاقه الذين جلسوا يتحدثون عن صاحبهم المحظوظ .. يتخيلونه وهو يختار ردهات القصر ، ثم وهو يدخل بحظوته المرددة باب الامبراطور ليقلد منصبه الجديد .. وجمح بهم الفكر وكثرت التعليقات .

● **من المؤكد أن حديثهم هذا كان يغلفه الحسد والغيره .**

— مهلا يا عزيزى .. لعلما كان أصدقاء كلود يعلمهم عن عملهم الحوض فى سره صديقهم وأد الباب يفتح ويدخل كلود مطأطىء الرأس ويسير الى مكتبه بخطوات متعثره ويجلس على كرسيه مهموما شاحب الوجه مقلوب السحنه ، زائغ البصر ، منقطع الأنفاس فأقبلوا عليه يسألونه ما خطبه وماذا دهاه .

● **لقد شوقتنى لمعرفه ما قاله لهم .**

— بعد أن قدم كلود نفسه لرئيس الديوان استأذنه فى الدخول على الامبراطور ، فلما أذن له دخل على نابليون فى حجره

مكتبه ، فالقاه يسير بخطوات سريعة وقد جعل يديه وراء ظهره ، وامال راسه على صـــدره ، شان من يفكر فى امر خطير . واذ اغلق الشاب الباب وراءه ، وحنى راســـه بالتحية تلقاه الامبراطور بنظرة فاحصـــة شملته من ذروة الراس الى اخمص القدم وقال : « هذا انت .. لقد ابطات .. اجلس هناك » . واشار بيده الى مكتب صغير قائم فى احدى زوايا الحجرة بين نافذتين كبيرتين . جلس الشاب امام المكتب ومد يده وتناول ورقا وقلمـــا ولبث ينتظر . اما الامبراطور فقد ابتعد عنه ليستانف سيره ذهابا وجيئة فى الحجرة الواســـعة وكانما نسى وجود السكرتير الجديد بالقرب منه . فاخذ يجمجم بعبارات يصحبها باشارات من يده ثم يعقبها بكلمات متقطعة تتلوها جمل سريعة وتتخللها زمجرات ودمدمات يدغمها فى بعضها فتجيء غير مفهومة ولا يعلم سامعها اهى شتائم يصبها على شخص مجهول أم ايمان يقسمها على شيء غير معلوم .

● **ماذا كان موقف كلود مما اتاه الامبراطور من افعال ؟**

ـــ لقد لبث كلود يرقب هـــذه الحالة فترة طويلة ويتعجب من هـــذا الامبراطور العظيم الذى يحدث نفسه كالمجانين ثم انتهى به الأمر الى أن ظن أن نابليون مشـــغول البال مهتـــاج الخـــاطر أو متوعك المزاج . ورأى أن الأدب واللياقة يقتضيانه التظاهر بعدم سماع ما يقول فحنى راسه على اوراقه وظل ينتظر ان يوجه اليه الامبراطور الكلام أو يملى عليه رسالة يكتبها . وطالت نزهة نابليون فى الغرفة وهو لاينفك يتمتم حينا ويجمجم حينا آخر ثم حانت منه التفاتة الى كلود فاقبل عليه ووقف الى جانب مكتبه واحس السكرتير أن عينى الجبار مسلطتان عليه فجعل ينكمش ويتضاءل ويدخل عنقه فى كتفيه ويشد بأصابعه على القلم لكى لا يقع من يده المرتجفة الى أن قال نابليون : « اقرأ على ما كتبت » فرفع الشاب عينيه الزائغتين وأجاب مرتبكا : « ماذا اقرأ يا مولاى » . فقال نابليون :

امرا ما أملته عليك . ورد كلود : « ولكن جلالتكم لم تعمل على سننا يا مولاى » . ونظر اليه نابليون غاضبا وقال « كيف لم اعمل عليك سيئا أنها الغبى ؟ .. اذن ماذا كنت تفعل طوال هذا الوقت » . وصاح نابليون صيحة غضب ولرلب الجدران وانقض بيده على فما كلود واقتلعه من كرسيه وقاده الى الباب ودفعه الى الدهليز دفعة قوية .

● مسكين كلود .

— وايه مسكين هو . ما كاد نابليون يدخل الغرفة ويغلق الباب وراءه حتى هرول كلود الى قناة القصر وظل يعدو كالمدعور حتى قطع المسافة بين قصر التويلرى وسراى وزارة الحربية تحت المطر الشديد عارى الرأس بلا معطف حتى قادته قدماه الى مكتبه لعبر من وجه القطر ويحتمى بين الزملاء .

● مما لاشك فيه ان هذه الحادثة قد اثرت عليه نفسيا .

— لقد أثرت على اعصابه فمرض ولزم الفراش سبعة ايام لم يكن يسمع فى منامه الا الصيحة التى أدهشته ، ولا يرى فى صحوته الا اليد القوية التى دفعت به الى الدهليز . لقد عاش بعد موت نابليون اكثر من ثلاثين سنة لم تحاول فيها أن بجبار حديقة التويلرى ، بل لم يفتح عيناه مرة على قباب القصر من بعد الا احس برعشة تسرى فى جسده وتذكره بذلك اليوم المشئوم .

● حقا يا له من يوم مشهود ويا لها من ذكريات .

— الذكريات كثيرة ومتنوعة ليس فقط عند كلود سيمار لكن ايضا عند الآخرين بوريين ومبتفال .

● مهما كان عندهما من ذكريات فاعتقد ان لديك من المواقف والذكريات الكثير والكثير يا بارون فان فنحن لا ننسى مذكراتك التاريخية القيمة خاصة وانك عاصرت كل الحوادث وعرفت جميع الرجال الذين لعبوا دورا فيها . ووقفت على معظم الأسرار حتى انه يقال عن مذكراتك انهـا تعد المؤرخ بذخيرة حيـة وافرة من التفاصيل الشائقة كما انها متعة عقلية لكل قارىء .

ـــ آه يا عزيزى تحـاول بذكائك ان أستعيد ذكرياتى مع نابليون ان مهمتى يمكن ان أجملها فى جملة واحدة « مهمة شـاقة عسيرة ، وسلسلة جهود عنيفـة مضنية تقصر العمر أو تورث الجنون » .

● انك تثير فضولى .. ارجوك ان تعطينا الصـورة الحقيقية الصادقة لوظيفتك كسكرتير خاص لنابليون لعلنا نستشف منهـا بعض الجوانب الخافية فى شخصية ذلك الرجل العظيم .

ـــ أدرك يا عزيزى قيمة الوقت عندك .. لذلك سـوف احاول ان اكون موضـوعيا صادقا .. تمثلا كنت ادخل حجرة مكتب الامبراطور عند مطلع الفجر واجلس امام مكتب صغير ، موليا نابليون ظهرى ، فلا اراه وانما اسمع وقع اقدامه وهو يذرع الغرفة بخطواته السريعة .. اسمع دمدمته وصـوت الأوراق التى يمزقها وينثرها فتتطاير حوله ذات اليمين وذات الشمال . وكان الامبراطور يباشر عمله اليومى عند السـاعة السابعة من الصـباح فاستقبله واقفا ثم اجلس دون ان اتكلم واتناول القلم والورق ،انتظر حتى يقول لى نابليون « اكتب » وعندئذ ابدأ العمل المرهق الشاق الذى لا يتصوره عقل .

● تكاد توهمنى باهمية السكرتير الخاص للامبراطور .

ـــ ارجو الا تكون مجولا فى حكمك .. فقد كان الامبراطور

وهو يملي رسائله أســـه الناس شخص يحدث الى نفسه ، حديثا سريع الألفاظ منقطع العـــارات ، أما سرعته فى الأمـــلاء فكانت تحسب تستحيل على أسرع الكاتبين أن يلاحقـــه فيهـــا ، وأما النطق وكان مريحـــا من همهمه ودمدمة وصياح لا تميز المنصت منها شيئا الا اذا طال تمرنه عليهـــا . وكان الامبراطور يوقف عن الأملاء هنيهة ليمزق بعض الأوراق ويعثرها فى أرض الحجرة أو ليصب بعض اللعنات على شخص مجهول ثم يستأنف املاءه الصخب مؤيدا عباراته بانشارات من يده أو بضربات من قبضته على المكتب .

● **انك تذهلنى بما تقول .. بالله كيف كنت تلاحق بالكتابة سرعة الامبراطور فى الكلام خاصة ـ كما تقول ـ انه كان يملك وهو يقطع الغرفة ذهابا وجيئة .**

ـــ كان كل فنى ينحصر فى أن اترك على الورق مساحات بيضاء بين الجمل لأجهد بعد ذلك فى أن أملأها بما علق فى ذاكرتى من الأملاء ولكن الصعوبة كانت فى استذكار الأرقـــام واســـماء الاعلام والمصطلحات الفنيه التى كنت أدونها بسرعة على هامش الورق لأشغلها فى أمكنتها بعد ذلك . وكثيرا ما كانت الاســـماء تختلط فى ذهن الامبراطور فيخطىء اذ يضـــع الواحـــد بدلا من الآخر ، فيملى سمولنك بدلا من ســـلمنقة ونهر الأبر بدلا من الألب وناجادوس بدلا من جندوفسكى وهكذا .. وكان على أن ادرك هـــذه الأخطاء واصححها بنفسى ودون الرجوع الى ناظرون فى امرها والا قالوا لى اذا أنا لم افعل .

● **ماذا عن المساقات البيض التى كنت تتركها بين الجمل ؟**

ـــ متى توقف الامبراطور عن الاملاء لعبره طالب او قصرت

عمدت الى المسافات البيضاء التى تركتها فاملأها بما تسعفنى به الذاكرة وما توحيه الى سياق الكلام ثم اعود فاقبض تلك المسودات التى ما هى الا خطوط بعضها مستقيم وبعضها متعرج تكاد الناظر اليها لا تبين منها كلمة أو حرفا .

● وماذا عن الامبراطور نابليون نفسه ؟

— تعود الى العمل فتلقى مرة ورقة على مكتبى مصحوبة بكلمة (للتنفيذ) أو بأخرى مصحوبة بكلمة (تهمل) ثم تلقى على البساط بعض الأوراق التى لا تصدر بشأنها تعليمات ثم تنهض الامبراطور فيسند ظهره الى المدفأة ، وشرع بفتح البريد فتتطاير الظروف فى أنحاء الغرفة وتبعها الرسائل نفسها وتسرح بالأوراق المرقمة وتكون أكداسا فوق البساط فاذا خرج نابليون هرعت اليها فجمعتها ورتبتها وحاولت أن أفهم ما ينبغى تصريفها فيه . ثم تعود الامبراطور ، وتقول اكتب فتبدأ عملية الكتابة من جديد .

● على فكرة .. لقد قيل أن مهمتك كسكرتير يا باروت فان كانت تزداد تعقيدا عندما كان يحضر (فوشيه) وزير البوليس حاملا ملفاته لعرض تقاريره اليومية على نابليون .. فهل هذا صحيح ؟

— بالطبع صحيح فما تكاد تدخل (فوشيه) حاملا ملفاته حتى تجلس بجوار المكتب وتبدأ تلاوة تقاريره وكلها متعلقة بمؤامرات تدبر لاغتيال نابليون وثورة الملكيين فى مقاطعتى بريتانيا والفانديه وزعماء الثوار المتشحين خفية فى أرجاء باريس . ويصغى نابليون الى كل هذا ، وتنامسه حماته وتغتاله . ولكن الاصغاء والمنافشة لا يحولان دون استمرار الامبراطور فى املاء رسائله على ، واملاء تعليماته وأوامره على الوزير فيخلط علينا الكلام ويتعسر على كل

منا ان نعرف ما هو موجه اليه . ليس هذا فقط بل بينما كان الامبراطور يملي كاتبه يعيد نظره الى أوراق فوق المكتب فيعلمها باصابعه ويصحح ... ويهز رأسه ويقول « لا .. لا هذه المعاني مبالغ فيها .. ان هذا الرجل يسرفنا » وينظر الوزير (فوسيه) ، فاذا الأوراق التي بين يدي الامبراطور تحوي فواتير ومطالب من بعض التجار الذين يوردون للامبراطور شعائره واحذيته وللامبراطورة ثيابها وعطورها .

ثم استطرد انت والوزير فيشبه والامبراطور واقف بينكما لا يستطيع احدكما ان يقاطع حديثه تفكره باستعادة كلمة لم يسمعها او الاستفسار عن امر لم يفهمه وهو يعلم علمكما اشياء من الخطر ويكاد لا يكلف نفسه الاشارة الى احدكما بان الكلام موجه اليه فلا يرفع رأسه عن الاوراق التي في يده حتى يدرك الواحد منكما من كلماته او ايماءاته ان هذه العبارة او تلك تعنيه فلا تعد ، الآن ، بينكما تتخلل تلك العبارات تعليقات على موضوعات اخرى لا علاقة لها البتة بما انتما منهمكان فيه .

— على اننا لم نكن احمرة التسجيل قد اخترعت بعد .. ولو تخيلنا ماذا كان يمكن ان يسجل من حديث للامبراطور في هذه الحلسة .. لو رددنا كلامه وكتبناه على علاته وكما صدر منه حينذاك لوجدنا العجب العجاب فمثلا يقول الامبراطور .. يخيل ان اوجه نظر سموكم الكريم الى ان الحاسة المشتركة بين الحواس والتي يلقبها الماجنون الفرنسيون من حكومة لندرة ... هذه المرأة حاول اسرافها كل حد معقول ... ترسل تحريدة قوية لتعزيز حامية الفاندية والحراسة شواطىء بريطانيا فقد انتهى الى ان الكونت (داراندا) زعيم ... قتل مائتين وستين فرنكا ... النزول الى الشاطىء مع شرذمة من المهاجرين ... وهو معذور

فى وضع هذه الأمان لأنه لا يجد من يحاسبه ... يحس بترك هذا الرجل حرا ورصد العيون حوله لمعرفه الدين ... طلب نظام الحكم واعتيال حياتى ... تدبير طريقه لمنع اولئك السجار من الوصـول الى العصر فجورهين لا نرغب لهم سـيئا ولا نردهـم خائبين .

● **أعتقـد أنه لابد من وجود هدراب خاصـة .. فعلى الوزير (موسـيه) أن نبين ما يخصـه فيهم باعر التجريـده والقبض على الكونت داراواه سفيق الملك السابق .. وعليك انت يا بارون لـان ان نلعت نظـر الوصى على العرس فى انجلترا الى مساله سنجيع المهاجرين والمجرمين وعلى كلاكمـا ان نغفلا عن الفبعة واسراف الامبراطوره جوزفين انيس كذلك .**

ـــ هـذا صحيح .

● **بارون فان .. هل بمكنك ان نعطينا صـوره عن عمـل سـكرير نابليون فى فراب حروبـه العديده .. ام كانت هـذه الفراب بمابة راحه لك او لأى سكرير آخر عمل معه .**

ـــ ما كاب حمـه الامراطرر نسب فى مدان القـال حى نحصص جره منها لمكتب السكرير وما كاب اصـواء القمر نشع على الكون حى نكون العمل مهما والأوراق مجهره والمكساب مربيه . واجلس امام المكب مسعدا للحركه عد اول اشـاره فما يكاد ضـوء النهار ننعد من الخيمة حى ننهض الامبراطور وسناول الملفات والأوراق فيمضها بسرعة ونفرأ وبمرق ويوقع ويطوح وهو نقول لى : ارسـل هذا .. هذا الحفظ .. وهـذا مسنعجل .. وهذا للعرض فى الوقب المناسب . وانهض لأجمع من فوق بساط الخيمه الملفات المبعرة . وما اكاد اجلس لأجمع

شتاتها وارتب محتوياتها حتى افاجيء بالامبراطور يقول . اكتب فاناول الورق والقلم واكتب .

● **هل كان لديكم مواعيد عمل منتظمه ومواعيد راحه منتظمة ؟**

ـــ كان العمل يمتد احيانا الى منتصف الليل واحيانا الى الفزيع الأخير منه حتى انني كنت احيانا اجهد نفسي في المحافظه على توازني لكي لا اقع على الأرض من فرط التعب وتحت سلطان النوم .

● **لعل وسائل الراحه في خيمة الامبراطور كانت تخفف عن كاهلك التعب احيانا .**

ـــ خيمه الامبراطور المريحه ـ كما تتوهم ـ كانت تنصب اينما حل ويسرعه لا ينمسك معها ناصبوها من تمهيد الأرض وتسويتها ولا من كنسها وتنظيفها وكانت مكونه من قسمين احداهما توضع فيها سرير صغير ينام عليه نابليون والأخرى تنصب فيها مكتبه ومكتب السكرتير الذي لم يكن في الحقيقه الا منضده صغيره وبجانبها حسبه صغيره اجلس عليها انا .

● **بعد ان استمعنا اليك يا عزيزي (الباروت فان) عن هذه اللمحه الخاطفه عن حياتك كسكرتير خاص للامبراطور نابليون بما فيها من اجهاد .**

ـــ اجهاد معنى من فضلك .. اجهاد كان يصل بي بعض الأحيان الى حد يجعلني اكتب وراسي يريح مغمض العينين .. ولقد حدث ذات ليلة وكان ذلك آخر الانتهاء من احدى المعارك

الحربية أن طال بى السهر وثقل على عبء العمل حتى عجزت يدى عن الكتابة فانتهزت فرصة دخول الامبراطور الى مخدعه فارتميت على الأرض ورجعت متسللا تحت قماش الخيمة ومن بين حبالها فلما صرت خارجها فى العراء صادفت شيئا لينا ظننته ربطة من الحشايا أو كومة من الثياب فتوسدتها غير قادر على تعرف حقيقتها ونمت .. ولشد ما كانت دهشتى عندما إفقت من نومى فاذا تلك الوسادة جثة جندى مقتول .

● **كفاك بربك .. ولا تذكرنا بمآسى الحروب .. وشكرا لك أيها البارون فان فقد أسعدتنا باماطة اللثام عن بعض الجوانب الخفية فى شخصية نابليون بونابرت عن غير قصد منك وانت تشرح لنا مهمتك الشاقة العسيرة كسكرتير خاص له . واسمح لى ان اقول لعل حديثك هذا معى .. هو من اجمل وامتع ما ورد فى مذكراتك التاريخية القيمة التى تمد المؤرخ بكثرة من التفاصيل الشائقة .. وكيف لا وهى مذكرات**

البارون فان

● اذاعة لندن ١٩٧٨/٨/١١ .

الفهـــرس

الصفحة

مقدمـــة ٥

بيتر بول روبنز ٩

جول فيرن ٢١

اليزابيث بلاكول ٣٣

فكتور هوجـــو ٤٥

لودفيج فان بتهوفن ٧٣

مـــارى كـــورى ٩٣

رفاعة رافع الطهطاوى ١١١

البـــارون فـــان ١٥٧

رقم الايداع ٤٥٩٨ / ١٩٨٩

الترقيم الدولي ٦ ـ ٢١٧٤ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب